١٠٧٣
دار م. النحاس

1073
HARLEQUIN

عبير

شيء بالمقابل

كارين فان ديرزي

www.elromancia.com

مرمورية

شيء بالمقابل

كارين فان ديرزي

لقد تعلمت سامنتا بسرعة رغم عدم تعودها الاختلاط بالأثرياء والمشهورين. ذلك ان مقدار الهبة المالية التي قدمها رامساي ماكميلان إلى مؤسستها الخيرية، جعلتها تصمم على أن تبرع في دورها ذاك. فتحضر الحفلات الباذخة وترد عنه هجوم النساء الطامحات إلى وسامته البالغة وثروته الواسعة.

لقد أدركت سامنتا أن وراء مظهره البارد الهادىء ذاك، كان يكمن رجل وحيد... رجل سرعان ما وقعت في غرامه. ولكن، هل بإمكانها أن تقنع رامساي الذي يعتقد بأن لكل شيء ثمناً، بأن الحب يأتي مجاناً إذا رغب القلب في ذلك؟

لبنان: ٣٠٠٠ ل.ل - سوريا: ٦٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١دينار - قطر: ١٠ دراهم - السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١دينار - مصر: ٤جنيه.

شيء بالمقابل

لقد احبت اوليفيا الطريقة التي كان يعاملها بها كلينت حين يحضران معاً المناسبات المتنوعة... والطريقة التي يبتسم فيها لها. ولكن، كان عليها ان تذكر نفسها على الدوام، بأن كل ذلك لم يكن سوى تمثيل ليبعد النسور عنه. ولكن ذلك كان يبدو لها أحياناً حقيقة إلى حد كان يعجبها التفكير في انه لا يخرج عن كونه مجرد ادعاء.

كارين فان ديرزي

نشأت كارين فان ديرزي في هولندا. وعندما كانت طفلة، أرادت أن تقوم بشيئين هما الرحلات والكتابة. وكانت محظوظة جداً. ذلك أن عمل زوجها الأميركي كخبير اقتصادي، مكنهما من الترحال إلى أماكن اجنبية كثيرة. لقد تزوجا في كينيا وأنجبا أول طفلة لهما في غانا، والثانية في الولايات المتحدة الأميركية. وتعيش الأسرة الآن، والتي ازدادت ابناً، في فيرجينيا بشكل مستمر.

١٠٧٣ عبير

Abir 1073

شيء بالمقابل

كارين فان ديرزي

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

www.elromancia.com

الفصل الأول

«اوليفيا، هنالك سيارة فيراري في الخارج، سيارة فخمة يجلس في داخلها سائق خاص.»

خطت اوليفيا فوق صندوق يحتوي على حساء معلّب، وهي تفتش عن وليام الأصلع النحيل. وكانت كافيتيريا المدرسة، ليلة الجمعة هذه، مزدحمة بالمتطوعين للعمل الذين احضروا صناديق طعام، موائد طعام، اكياس طعام، كل ذلك مما جمعوه من المواطنين الذين تبرعوا به لجيرانهم.

«اوليفيا؟ هل سمعت ما قلته؟ هنالك سيارة فيراري عملاقة في الخارج.»

نظرت اوليفيا إلى وجه سيليا المنفعل، ثم قطبت حاجبيها قائلة: «نعم، لقد سمعتك.» وابعدت خصلة من شعرها الداكن إلى ما خلف أذنها وهي تتابع قائلة: «انني لا اعرف شيئاً عن تلك السيارة، وأظنها تخص ذلك الرجل الواقف هناك.» وأشارت إلى نهاية الغرفة، حيث كان يقف رجل اسمر طويل القامة يرتدي بذلة من ثلاث قطع وكانت قد لاحظته منذ حوالي العشر دقائق، متسائلة عما يفعله هنا، ولكنها كانت مشغولة جداً عن البحث في أمره.

ونظرت سيليا إلى الرجل وهي تسأل وقد تملكها العجب: «أوه... من أين أتى يا ترى؟»

فأجابت اوليفيا: «لا أدري، ولا يهمني ذلك في الوقت

الحاضر. انني بحاجة إلى وليام. هل تعرفين أين هو؟»

أجابت سيليا: «كلا، لماذا؟»

قالت اوليفيا: «ان القائمة عنده. لقد اتصل بي مركز الخدمات الاجتماعية بشأن امرأة لديها طفلين. هرب منها زوجها بسيارتهم الوحيدة، ودفتر شيكاتهم وكل مدخراتهم من النقود، والكلب والتلفزيون. آه، ها هو ذا.» واجتازت الغرفة تنقض عليه تقبض على ذراعه النحيلة قائلة وهي تدفع إليه بقطعة ورق: «وليام. ان عندي هنا اسماً آخر.»

فأخذها منها قائلاً: «شكراً.» وألقى نظرة عبر الغرفة وهو يسأل: «من هو ذلك الرجل ذو الشخصية المميزة؟»

فعادت تنظر إلى ذلك الرجل الطويل القامة المهيب الشكل الذي يقف قرب الباب، يستعرض ما يجري أمامه بعينين قاتمتين حادتين. لقد بدا، بشكل عام، في غير مكانه المناسب، في بذلته ذات الثلاث قطع تلك وقميصه الأبيض وربطة عنقه. وخلفه كان معطفه القاتم ملقى على كرسي هناك. ولم تشك اوليفيا في أنه صاحب الفيراري التي تساءلت سيليا عنها أو أنه وصل فيها على الأقل.

أجابت وليام قائلة: «ليس لدي فكرة.» ذلك انها لم يسبق لها أن رأته من قبل، كما أنه لم يكن يبدو عليه أنه احد اولئك المتطوعين الذين اقبلوا للمساعدة. لقد كان أنيقاً خالياً من كل عيب. كان شخصاً من عالم آخر، عالم الغنى والثراء.

ونفضت عن قميصها أثراً من دقيق كان عالقاً به. وكانت ترتدي بنطالاً يناسب قميصها ذاك، وحذاءً قديماً مريحاً يصلح للركض. وكان شعرها قد أفلت من الشريط

المطاطي الذي كان يمسك به، فسحبت الشريط وأعادت ربطه به مرة أخرى. ولكن بالنسبة إلى الأناقة، لم يكن في مظهرها العام ما يؤهلها لنيل أي جائزة. إنما بالنسبة إلى البشاشة فقد كانت افضل كثيراً من ذلك الرجل الواقف عند الباب.

لم تكن ذات خبرة بملابس الرجال ولا طرازها او نسيجها... ولكن، حتى من هذه المسافة البعيدة، لم تكن بذلته تبدو لها رخيصة عادية، فقد كان بالغ الأناقة والرشاقة، كما كانت شخصيته توحي بالسلطة والتحفظ ما وجدت معه صعوبة في عدم التأثر بتلك الرجولة الرائعة البادية أمامها.

ما الذي كان يفعله هنا؟

كانت هناك طريقة واحدة لمعرفة هذا. وسكبت لنفسها فنجاناً من القهوة اضافت إليها السكر والقشدة، ثم اتجهت نحو ذلك الغريب.

ومدت يدها اليمنى تحييه قائلة: «مرحباً. إنني اوليفيا بل، وقد رأيتك واقفاً هنا، فتساءلت عما إذا كنت استطيع مساعدتك بشيء.»

مد يده لها مصافحاً وعيناه البنيتان العميقتان تنظران في عينيها قائلاً: «إنني كلينت مورغان. وأنا هنا لمراقبة ما يجري.» كان ذا أنف دقيق، وذقن مربعة بارزة، كما كانت قسمات وجهه نحيلة بارزة، المعالم. كان وجهه ملفتاً للنظر اكثر منه وسيماً.

فقالت: «لا أظنني فهمت شيئاً.»

أجاب: «ولا أنا.»

ابتسمت قائلة: «آه، انني اعشق الغموض. أظن سيارة الفيراري التي تقف في الخارج تخصك.»

فأجاب: «نعم.»

سألته: «وكيف جئت إلى هنا؟ أعني من طلب منك الحضور إلى هنا؟»

فأجاب: «ابنة عمي باميلا.» وأشار باختصار إلى حيث تجلس باميلا مرتدية بنطال جينز وكنزة وهي تفتح أكياس بقالة مملوءة بالأطعمة قائلاً: «لقد سحبتني من واشنطن بدعوى زائفة.»

فقالت: «دعوى زائفة؟ كم هذا مثير.» ذلك ان باميلا كانت تمثل رئيسة المنطقة. وكانت ثرية رائعة الجمال وذات ارتباطات طيبة. كما انها كانت مخلصة كذلك، ومتحمسة وماهرة جداً في إيجاد حلول المشكلات. وتابعت اوليفيا تسأله: «ما الذي اخبرتك به؟»

فأجاب: «قالت انها ستحضرني معها إلى العشاء هنا لنتحدث في أمور مالية جادة.»

وعضت اوليفيا شفتها تغالب ضحكة كادت تنفجر من بين شفتيها، وهي تسأله: «هل فعلت ذلك حقاً؟» فقد كانت باميلا تملك روحاً مرحة بشكل غريب. تابعت تقول: «فهمت. حسناً. ان العشاء يقدم هناك.» وأشارت إلى مائدة قريبة من المطبخ حيث مجموعة من الأطباق الساخنة والسلطة والخبز قد وضعت عليها لمن يشاء أن يأكل، أشارت إليها قائلة: «إنه طعام رائع. حاول أن تتناول شيئاً.» وألقت على بذلته الأنيقة نظرة متفحصة. ربما لم يكن متوقعاً أن يأكل سمك التونة المعلب المطبوخ بالشعيرية، وذلك في كافيتيرتا

مدرسة ابتدائية وضيعة المظهر هي من نعم ولاية دالاس. وهي نفسها لم تكن قد تناولت طعامها بعد إذ كان عليها ان تنتظر إنهاء بعض الأعمال.

لكن الرجل لم يتقدم نحو المائدة، وإنما قال وهو يتفحص المكان: «ما الذي يجري هنا؟»

رأته اوليفيا رجلاً قيادياً يربو أن يعرف كل شيء. أجابت: «إننا نعد صناديق الأطعمة لتوزيعها على الأسر المحتاجة. فالجمعية مازالت تجمع الأطعمة منذ اسابيع، وكذلك المؤسسات الأخرى. ونحن نقوم بنفس هذا العمل في كل مناسبة.»

قال وهو ينظر إليها: «فهمت. كم يبلغ عدد الأسر المحتاجة تلك؟»

أجابت: «ثمان وسبعون.»

لم يبدُ على ملامحه أية ردة فعل. ولاحظت أن وجهه قد لوحته الشمس. ولا يبدو مطلقاً أنه كان يمضي وقته، مؤخراً، في نيويورك. بل من الواضح أنه كان في نيويورك.

كانت الأطعمة المعلبة الآن قد فرزت أنواعها، واصطف المتطوعون ليأخذوا الصناديق المرقمة لملئها، تحضيراً لتوزيعها على الأسر المحتاجة.

وعندما رأته يقف صامتاً، عادت تسأله: «لماذا إذن احضرتك باميلا إلى هنا؟»

أجاب: «لا شك أنها تريد نقودي.»

أومأت اوليفيا برأسها قائلة: «آه، بإمكاننا استعمال تلك النقود.»

قال: «وكذلك بإمكان أي شخص آخر.»

قالت: «طبعاً.» وجالت في فكرها فكرة خبيثة وهي تستطرد قائلة: «عن اذنك.» ثم توجهت نحو وليام الذي كان يسلم الصناديق. وقالت له: «اعطني واحداً.»

وعادت بالصندوق إلى السيد مورغان قائلة: «تفضل هذا. إنه مدون عليه شخص بالغ وثلاثة اطفال.»

نظر إلى الصندوق بين يديه وكأنه لا يصدق أنه حصل عليه، وهو يسألها: «ما معنى هذا؟»

أجابت: «قف مع البقية في الصف، وأخبرهم عند كل منضدة، انك تريد مؤونة لشخص بالغ وثلاثة اطفال، وسيعطونك أي شيء... خضر، دقيق، معكرونة... إلخ. إنه أمر بالغ السهولة، حتى إنه ليس عليك ان تفكر بشيء.»

قال: «حسناً، لقد ارحتني بكلامك هذا.»

ارتسمت على وجهها ابتسامة عريضة، إذ بدا لها منظره غريباً. فهو لا يبدو مطلقاً انه مناسب لمكان كهذا وهو في بذلته الأنيقة هذه، يتشبث بالصندوق الكرتوني ضاماً إياه إلى صدره. لقد كان كل شخص آخر يرتدي بنطال جينز وكنزة، بينما يقف هو في كبرياء وقد بدا عليه وكأنه مقبل إلى اجتماع رفيع المستوى.

قالت بلطف: «سآخذ معطفك لأضعه في المطبخ.»

واشتبكت نظراته بنظراتها دون أن يتحرك وغالبت هي الضحك وعيناها في عينيه لا تريد ان تخفضهما. ثم وضع الصندوق على الأرض، وخلع جاكتته وناولها اياها بينما كانت عيناه مازالتا في عينيها طيلة الوقت، وهو يقول: «خذي هذه أيضاً، من فضلك.» واخرج الأزرار الذهبية من القميص ووضعها في جيبه، ثم ثنى أكمام القميص فبدت

ذراعاه القويتان السمراوتان اللتان كان يكسوهما شعر قاتم خفيف. وكان يضع في معصمه ساعة غالية الثمن. ثم عاد يلتقط الصندوق من على الأرض.

أخذت اوليفيا تنظر اليه وهو يقف في الصف، بينما تمسك بمعطفه وجاكتته. وضحكت مرة اخرى اذ عاودها ذلك السرور الخبيث. ووضعت أشياءه في المطبخ، لتعود إلى الكافيتيريا مرة أخرى.

جاءت باميلا تناديها: «اوليفيا.» وكانت تمر بيدها على شعرها البني الأحمر. كانت في مطلع الثلاثينات من عمرها ولكنها كانت تبدو اصغر كثيراً. وكان وجهها مكتمل الزينة بينما يلتمع في أذنيها قرطان من الماس. وكانت تسألها: «أين هو؟»

أشارت اوليفيا إليه وهي تجيبها قائلة: «انه هناك، حيث البازيلاء المطبوخة.»

فغرت باميلا فمها بدهشة، ولكنها ما لبثت أن ضحكت قائلة: «كم هذا مضحك. كيف استطعت ان تجعليه يقوم بهذا العمل؟»

أجابت اوليفيا: «لقد سلمته صندوقاً وطلبت منه أن يقف في الصف.»

قالت باميلا: «ولكن كلينت مورغان لا يقف في الصفوف.»

أجابت اوليفيا: «ولكنه يقف الآن.»

كتمت باميلا ضحكتها وهي تسألها قائلة: «ما الذي قلته له؟ لا بد انك قلت شيئاً.»

أجابت اوليفيا: «لم أقل له سوى أن يذهب ليملأ ذلك الصندوق.»

نظرت إليها باميلا غير مصدقة وهي تسألها: «ذهب هو ليقوم بذلك؟»

أجابت اوليفيا ضاحكة: «نعم.»

قالت باميلا: «لا بد أنك تملكين تأثيراً قوياً. أوه، كم اتمنى لو كانت معي آلة التصوير. ان زوجي لن يصدق هذا إذا أنا اخبرته به، ذلك ان كلينت شخص ذو غطرسة غير معقولة.»

سألتها اوليفيا: «هل هو ابن عمك؟»

أجابت: «نعم. لقد كنا متآلفين جداً ونحن اطفال رغم أنني من فرع فقير في الأسرة.» وابتسمت ابتسامة عريضة وهي تتابع قائلة: «انما علاقتنا هي القرابة فقط.»

وتمنت اوليفيا لو أن الأمر كان كما تقول. ذلك ان كلمة الفقر لا يفكر فيها المرء وهو يرى باميلا بلهجتها المسيطرة وثيابها الغالية الثمن.

قاطع حديثهما وليام طالباً مساعدة، كما أن العمل كان يستدعي الانتباه من اوليفيا. وكان عليها في كل لحظة، ان تتفقد كلينت، إذ أن قوة غريبة كانت تشد نظراتها إليه. كان ثمة شيء في شخصية هذا الرجل ذي العينين القاتمتي اللون والسلوك المتحفظ، يطغى على أحاسيسها.

وبعد حوالي الساعة، ظهر إلى جانبها وهو يقول وقد وضع يديه في جيبي بنطاله: «كل شيء قد تم انجازه. لقد قمت بثلاث دورات. هل يعجبك هذا؟»

التقت عيناها بعينيه وهي تقول بابتسامة مهذبة: «اننا شاكرون لك عونك.» وشعرت وهي تتكلم، بقرقعة في

معدتها، فأضافت تقول: «اعتقد أن علي ان اتناول شيئاً. أتحب أن تشاركني الطعام؟»

أجاب: «ولِمَ لا؟» ومشى معها نحو المائدة التي وضع عليها الطعام.

وبعد عدة لقيمات اسكتت اوليفيا بها جوعها، سألته: «لماذا احضرتك باميلا إلى هنا؟ لماذا لم تقتصر على طلب نقود منك؟»

أجاب: «كان قصدها أن أرى كل هذا. عسى أن يلين قلبي فادفع مبلغاً اكبر.»

قالت: «آه، نعم، بامكان الشخص ان يقوم بأعمال رائعة بواسطة النقود.»

سألها: «وما طبيعة تلك الأعمال الرائعة؟»

أجابت: «حسناً. ان هذا يعتمد على قيمة المبلغ الذي تملكه، بالطبع. ولكن، لنفرض ان عندنا مبلغاً كبيراً من النقود، اذن يمكننا ان...»

قاطعها قائلاً: «قولي ان عندك أنت مبلغاً كبيراً منها.»

أطلقت ضحكة صغيرة وهي تقول بدهشة: «عندي أنا شخصياً؟»

فقال: «نعم، أنت شخصياً. ما الذي أنت بحاجة إليه؟»

باغتها سؤاله هذا، فقالت: «آه، انني لست بحاجة إلى شيء.»

قال: «ولكن كل شخص بحاجة إلى شيء ما.»

فقالت: «ولكن عندي كل ما احتاجه. لدي وظيفة جيدة، بيت يأويني، وموقد خشب وسيارة تأخذني إلى حيث اريد.»

فقال: «لا بأس. اذا لم تكوني بحاجة إلى شيء، فماذا تريدين لنفسك؟»

أخذت تضحك قائلة: «لا أدري. انني سعيدة، صدقني.»

قال: «ماذا بالنسبة الى المجوهرات وعمليات التجميل؟» كادت تغص باللقمة وهي تجيبه ضاحكة: «عمليات التجميل؟ هل أنت جراح تقوم بالدعاية لمصلحتك؟»

لوى شفتيه وهو يقول: «كلا، ولكنني اظن ان جميع النساء، هذه الأيام، يرغبن في إجراء عمليات تجميل سواء كن بحاجة اليها أم لا.»

قالت: «حسناً، انني لست منهن، فأنا راضية عن نفسي تماماً.»

ألقى عليها نظرة متفحصة وهو يقول: «هذا حسن جداً، وماذا عن المجوهرات والملابس؟ والأسفار؟ لا بد انك تتمنين شيئاً من ذلك.»

هزت كتفيها قائلة: «انني أصنع معظم ملابسي بنفسي. ذلك ان الملابس الجاهزة إما غالية الثمن، وإما سيئة التفصيل. أما المجوهرات فلا تهمني كثيراً. انني احب الأقراط، وانما لا تهمني الغالية الثمن منها.»

سألها: «هل الجميع هنا متطوعون؟»

أجابت: «نعم، فليس لدى مؤسسة ميرسي موظفون يقبضون رواتب.»

فعاد يسألها: «وما هي تلك الوظيفة الجيدة التي تحدثت عنها، إذن؟»

أجابت: «أوه، وظيفتي ليست في مؤسسة ميرسي هذه، وانما أنا معلمة ابتدائية هنا.» وأشارت بشوكتها إلى ما

حولها تشير بذلك إلى مبنى المدرسة، وهي تتابع قولها: «ان غرفة صفي هي في آخر القاعة، تلك التي يوجد على بابها صورة مهرج له ثلاثة أعين.» ربما كانت هذه آخر سنة تدريس تمضيها هنا. فقد كان بناء المدرسة قديماً، وكما كانت هناك مدارس عديدة انشئت في الضواحي. وكان من الصعب عليها التفكير في أنها ستترك مدرستها العزيزة، فريندلي، هذه.

في هذه اللحظة اقبلت باميلا لتجلس معهما إلى المائدة. وكان قرطاها الماسيان يقدحان شرراً في أنحاء الغرفة. وابتسمت لكلينت الذي أخذ يحدق فيها طويلاً، ليسألها بعد ذلك قائلاً: «ما الذي حدث لثوبك؟»

هزت باميلا كتفيها ببساطة وهي تجيبه قائلة: «لقد غيرته في غرفة استراحة السيدات.» وعضت شفتها وهي تقول: «انني آسفة إذ تحايلت عليك بهذا الشكل، ولكن كان عليّ أن أجد طريقة أحضرك بها إلى هنا.»

قال: «وهكذا جعلتني أظن ان ابنة عمي المحبوبة تعاني من عسر مالي مخيف، وعليّ أن أحضر لأنقذها.» وسكت برهة مفكراً ثم استطرد قائلاً: «وكان أن ألغيت عشاء عمل في سبيل أن أحضر إليك.»

بدا على باميلا الندم وهي تعض شفتها المصبوغة مرة أخرى، ثم قالت: «لن اسامح نفسي أبداً. أرجو أنك ستبقى على شعورك الذي يدفعك إلى التبرع بهبة إلى مؤسسة ميرسي.»

رفع لقمة بشوكته إلى فمه وهو يقول: «سنرى.»

تابعت باميلا قائلة: «اننا نحاول المساعدة. أنظر إلى كل هؤلاء المتطوعين. أليس ذلك رائعاً؟»

أجاب بجفاء: «هذا ممتع جداً كهذا الطعام.»

سألته اوليفيا: «وما الخطأ في هذا الطعام؟»

أجاب: «لا شيء، لا شيء أبداً. هذا إذا كنت تحبين طعام سمك التونة المعلب المطبوخ بالشعيرية والمبالغ في طبخه ما جعل منه خبيصاً، هذا إلى انه بارد الآن.»

قالت له باميلا وهي تقضم قطعة من كعكة الشيكولاتة أمامها: «إنك جندي شجاع.» وتساءلت اوليفيا عما إذا كانت باميلا ستفلت من العقاب للحيلة التي أحضرت بها كلينت مورغان إلى هنا. لا بد أن هذا تطلّب منها شجاعة كبرى، فهو لا يبدو من الرجال الذين يجرؤ المرء على استغفالهم. ومع هذا لم يظهر عليه ما يدل على السخط، فقد كان متحكماً في مشاعره ضابطاً لأعصابه.

رفع حاجبيه الداكنين وهو يسألها بعد إذ رآها تطيل التحديق فيه: «اترينني أوقع طعاماً على ثيابي؟»

عضت شفتها وهي تندفع قائلة: «أوه، كلا. كنت فقط انظر إلى ربطة عنقك.»

سألها قائلاً: «هل فيها أي خطأ؟»

تنهدت قائلة: «كلا. اظنها مضبوطة تماماً. انني اشعر دوماً بالأسى نحو الرجال الذين يرتدون بذلات قاتمة اللون، إذ انهم، بذلك يبدون مكتئبين.»

تأملها صامتاً برهة، ثم قال: «مكتئب؟ دعيني اطمئنك إلى انني استمتع تماماً بحياتي. إذن، فأنت تشعرين بالأسى تجاه الرجال في البذلات القاتمة اللون؟»

ضحكت قائلة: «هذا صحيح. لماذا لا ترتدي ملابس الوانها اكثر بهجة؟ لِمَ لا تقول مثلاً فليذهب التحفظ

والاعتدال إلى غير رجعة. فأنا ثري وبإمكاني ان أصنع ما أشاء.»

لمعت في عينيه الداكنتين شرارة من الفكاهة وهو يقول: «سأهتم باقتراحك هذا.» ومسح فمه بمنشفة من الورق وهو يقف على قدميه، فارع القامة مشرفاً عليها، ناظراً إليها وكأنه من علية القوم، قائلاً: «والآن، إذا كنت تأذنين لي في الانصراف.»

بعد ذلك بساعة، وبعد أن حزمت كل الصناديق، وارسلت، مضت باميلا تتوسل إلى من يوصلها إلى البيت، ذلك ان كلينت مورغان قد انصرف بسيارته الفيراري تاركاً إياها وحيدة.

في الصباح التالي، كانت اوليفيا داخلة إلى بيتها متأبطة خشباً للموقد، سمعت رنين الهاتف يتصاعد. فتركت حملها على أرض المدخل، وركضت ترد على المكالمة، ولو كانت جدتها موجودة لقالت لها: «دعيه يرن يا طفلتي فإذا كان الأمر مهماً، سيعاودون الاتصال.» ابتسمت اوليفيا وهي ترفع السماعة قائلة: «آلو.»

جاءها الجواب: «اوليفيا بل؟ هنا كلينت مورغان.» وقفز قلبها في صدرها لدى سماعها صوته العميق. وتنفست بعمق وهي ترد عليه قائلة: «نعم، يا سيد مورغان. انني آسفة لتقطع انفاسي، فقد جئت راكضة من الخارج إثر سماعي رنين الهاتف.» وعادت تلتقط انفاسها ثم قالت: «ما الذي بإمكاني ان افعله لأجلك؟»

أجاب: «إنني اتساءل عما إذا كان بإمكاني ان ادعوك إلى رحلة في الأرياف.»

سألته: «لماذا؟»

أجاب: «انني أرغب في صحبتك.» لا بد أنه يمزح. وتابع قائلاً: «كذلك أحب أن اناقشك في شأن مؤسستك. لقد فهمت انك الرئيسة.»

أجابت: «نعم. هذا صحيح. في هذه الحالة، فإنني أرغب جداً في رحلة في الأرياف، يا سيد مورغان.» وكانت تقول ذلك بتزمت وهي تبتسم للسماعة في يدها.

قال: «سأكون عندك خلال عشر دقائق.» وأقفل الهاتف.

عشر دقائق؟ لا بد أنه يتحدث من السيارة. وألقت نظرة على بنطال الجينز الباهت الذي ترتديه، والمزين برقع على ركبتيه بشكل القلب، والجاكتة ذات النقش الاسكتلندي بلونيها الأحمر والأزرق والتي كانت يوماً ما لجدها. ربما عليها أن ترتدي بدلاً من الجينز بنطالاً عادياً فضفاضاً، ومعطفاً. وألقت بجاكتتها على كرسي. مازال عليها أن تزين وجهها.

واندفعت إلى الحمام، فغسلت يديها. ووضعت على جفنيها الكحل والظلال، ثم بعض اللون على شفتيها، واسدلت شعرها على كتفيها. ذات يوم، كانت تتمنى لو أنها شقراء زرقاء العينين مثل سيليا، ولكن ذلك كان منذ وقت طويل، أما الآن، فهي راضية تماماً بشعرها القاتم الجعد وعينيها البندقيتين. وإن كانت تتمنى لو أنها اطول قامة قليلاً مما عليه قامتها الآن. حسناً، ها انها انهت كل شيء الآن، وليس له أن يتوقع منها أن تبدو كعارضات الأزياء في غضون العشر دقائق التي منحها إياها. هذا إلى أنهما ذاهبان لجولة بالسيارة فماذا يهم؟ وركضت إلى غرفة النوم

حيث اخرجت قميص الجامعة القديم وجاكتة صوفية كانت انهت حياكتها لتوها جاعلة إياها بطراز ايطالي مشرق باللونين الأزرق والأخضر.

قرع جرس الباب بعد تسع دقائق من وضعها سماعة الهاتف. أخذت نفساً عميقاً، ثم ذهبت تفتح الباب، وقلبها يخفق بعنف.

قال لها حالما فتحت الباب: «صباح الخير.» وبدا في بنطاله القاتم والجاكتة التويد والقميص ورباط العنق، بدا أقل تزمتاً مما كان عليه ليلة أمس، انما بنفس الأناقة.

قالت له: «أدخل. إذ لم أتمكن بعد من تغيير ملابسي، أعني...»

قال: «لا حاجة بك لذلك.» وجالت نظراته في انحاء الغرفة ناظراً إلى الجدار المغطى بالكتب، والأثاث المختلط ما بين عصري وقديم، فالمدفأة القديمة، والستائر والوسائد ذات الألوان المشرقة، والسجاد المكسيكي الملون.

قالت: «ان الغرفة هذه لا تخضع لقواعد الديكور، فقد توخيت فيها مجرد الراحة الكاملة. كذلك لا تخرج عن الطراز الحديث مطلقاً، لهذا أنا لا اقلق من فكرة انني قد اصبح مصدر هزء الجيران، إذ يرونني اعيش في زمن متخلف، فهو شامل على الدوام ككل شيء كلاسيكي.»

قال وعيناه مسمرتان على وجهها طيلة الوقت، بشبه ابتسامة: «فهمت.»

كانت اوليفيا قد نشأت في منزل صغير، وقد رباها جداها. وبعد موتهما منذ سنوات قليلة، اصبح المنزل ملكها. ومرة حاولت أن تنتقل إلى مدينة اكبر، ولكنها كانت

مسرورة لأنها لم تفعل، إذ كانت تعشق قرية فريندلي في ولاية دالاس، فقد كان اصدقاؤها هنا. وكانت تعلّم هنا في المدرسة، كما كانت تحب العيش في هذا المنزل الصغير المريح والمألوف لديها، والذي زخرفته بنفسها بطريقتها غير الملتزمة.

سألها: «هل أنت جاهزة؟»

أجابت: «نعم.» والتقطت جاكتتها وحقيبة الكتف وهي تستطرد قائلة: «آه، انتظر. دعني أريك شيئاً.» وفتحت الباب إلى إحدى غرفتي النوم وهي تقول: «هذه غرفة الأطعمة المختصة بمؤسسة ميرسي.»

وكانت تقوم على طول الجدران رفوف من معدن رخيص وضعت عليه مختلف انواع المعلبات.

وأخذ كلينت يمعن النظر في الغرفة، ثم سألها: «من أين يأتي كل هذا؟»

أجابت: «اغلبها من دور العبادة، ففي كل شهر يخططون لجمع الأطعمة من المصلين، ثم يحضرونها إلى هنا، فأضعها أنا على الرفوف، ثم اجمع ما نحتاجه لذلك اليوم، فيأخذها المتطوعون لتوزيعها. على كل حال، إذا حدث يوماً ووجدت نفسك دون طعام، فأنت تعلم الآن إلى أين تأتي.»

قال: «اشكرك. سأتذكر ذلك.»

خرجت من الغرفة واغلقت الباب خلفها، ثم قالت له: «هل نذهب؟»

كانت تقف عند الباب سيارة باميلا، الفولفو، الفضية اللون، فسألته: «أليست سيارتك هنا؟»

أجاب: «لقد اعدتها. واستوليت على هذه السيارة من باميلا لكي أمضي الليلة هنا.» وفتح لها الباب، فدخلت بينما استدار هو حول السيارة ليصعد إلى مقعد السائق.

سألته: «اظنها قد اخبرتك أين اسكن؟»

أجاب: «هذا صحيح. قالت انك تسكنين في منزل خرافي صغير أبيض اللون مزخرف بالأحمر، وهو المنزل الخامس قبل المدرسة.» ونظر إلى الرقعتين على ركبتيها واللتين تمثلان قلبين، وسألها: «أتحبين اللون الأحمر؟»

فأجابت: «نعم. إنه لوني المفضل، فهو متألق غير معقد.»

سألها: «والآن، اخبريني عن مؤسسة ميرسي وعملها.»

أجابت: «ألم تخبرك باميلا؟»

أجاب: «أريد ان اسمع ذلك منك.»

هزت كتفيها قائلة: «لا بأس.» وانطلقت في الحديث بينما كانت السيارة تسير خلال الطرق الريفية الملتوية بين البيوت الجميلة القائمة في الحقول. وكانت المناظر تبدو رائعة حتى في الشتاء، ولو ان فصل الشتاء لم يكن قد ابتدأ رسمياً بعد إذ كان الوقت اواخر تشرين الثاني، نوفمبر، وذلك بمنظر الخضرة الداكنة إزاء زرقة السماء الساطعة. ونظرت إلى مظهر وجهه الجانبي الذي كان رائعاً واعجبها لمعان شعره القاتم.

سألته بصورة عفوية: «ما هو عملك الذي تزاوله؟»

أجاب: «انني رئيس شركة مورغان.»

قالت: «ما معنى هذا؟ وما الذي تقوم به شركة مورغان؟»

ألقى عليها نظرة سريعة وهو يجيب قائلاً: «انها شركة

عالمية تتعلق بالهندسة، فنحن نبني جسوراً وسدوداً وخنادق وما اشبه من الأبنية الضخمة في العالم.»

سألته: «هل تحب عملك هذا؟»

رفع حاجبيه بدهشة وقال: «أحبه! من المفروض ذلك.»

قالت: «هذا حسن، إذ من الفظاعة أن تمضي حياتك تقوم بأشياء لا تحبها. لقد كنت دوماً أرغب في أن اكون معلمة وراقصة باليه.» وضحكت وهي تتابع: «ومن سوء الحظ، لم استطع القيام بالاثنين معاً، فكان عليّ ان اختار احدهما.»

سألها: «وهل انت سعيدة بالخيار الذي اتبعته؟»

أجابت: «آه، نعم، فأنا اعشق التعليم.» وامعنت النظر في وجهه، ثم تابعت تقول: «انك لم تقم بهذه النزهة لكي تتكلم فقط عن مؤسسة ميرسي، أليس كذلك؟» وكان هذا السؤال لأنها لم تستطع ان تتصور أنه يقوم برحلة كهذه بين الأرياف لكي يستمتع فقط بجمال المناظر. فهذا لا يتفق مع الصورة المفروضة بالنسبة لشخص يحمل مثل هذه المسؤوليات الضخمة التي لا بد ينوء بها شخص مثله.

أجاب: «في الواقع، كلا. ولكن الأمر بمثابة اصطياد عصفورين بحجر واحد. ذلك ان لدي موعداً مع صديق لي يقطن في واينبرغ، وهو موعد من المفضل القيام به شخصياً، ولكنه لن يأخذ مني وقتاً طويلاً. وفي نفس الوقت، نستغل هذا الوقت، نحن الاثنين، في الحديث.»

وهكذا تحدثا، او بالأحرى، تحدثت اوليفيا. فقد كان كلينت يلقي عليها اسئلة مختصرة، فترد عليه بأجوبة مطولة. وإذا ألقت عليه سؤالاً، أجابها عليه بأقل ما يمكن من الكلمات. وبدا عليه عدم الاهتمام كلياً بالحديث عن نفسه.

لقد كان حوله جو متحفظ غير بعيد عن التآلف ما أثار في نفسها الفضول.

استدارت السيارة في منعطف حاد، ومن ثم وقفت وهو يقول: «ها نحن قد وصلنا.»

ظهرت أمام عينيها مزرعة وسط اراضي فسيحة قام في وسطها بيت ريفي تاريخي رائع تحيط به حدائق منسقة، لا بد أن تبدو أروع ما تكون أثناء فصلي الربيع والصيف.

هتفت وقد تملكتها الرهبة: «أوه، ما أروع هذا المكان! هل هو يقطن هنا حقاً؟»

أجاب: «انه يمضي فيه قسماً من السنة فقط.»

نزلا من السيارة، ثم تقدما نحو باب ذي مصراعين، فتحا امامهما قبل ان تلمس اصابع كلينت المقرعة النحاسية الكبيرة.

وقادهما خادم إلى غرفة جلوس واسعة تزهو بأثاث أثري وسجاد شرقي، ولوحات زيتية على الجدران كانت دون شك، النسخ الأصلية ما يجعلها لا تثمن، فبدا المكان بذلك، كمتحف جعل اوليفيا تتفحص المكان وقد توقفت انفاسها. هل هناك من الناس من يعيش حقاً في بيوت كهذه؟ وبعد ذلك بلحظات، دخل عليهما بلهفة رجل وامرأة.

كان الرجل طويل القامة بالغ النحافة، يرتدي ثياب الركوب التقليدية. أما المرأة فكانت اصغر منه كثيراً، ربما في اواخر العشرينات من عمرها، وترتدي ثوباً أنيقاً من الصوف وحذاءً عالي الكعب.

هتفت وهي تتقدم مادة يديها: «كلينت. ما اجمل ان اراك! لقد مضى وقت طويل لم نتقابل فيه.»

وتبادلوا التعارف. ومنحت المرأة، واسمها آن، اوليفيا ابتسامة لم تواجه هذه مثل زيفها قط من قبل. وارتسم في تلك العينين الزرقاوين الشاحبتين لمحة من الترفع حالما شملت اوليفيا من رأسها حتى اخمص قدميها بنظرة سريعة متفحصة. لتلتفت بعد ذلك فجأة، وكأنها تنبذها من واقعها، لتلتفت عائدة إلى كلينت تسأله: «انك ستبقى للغداء. أليس كذلك؟ لقد نسيت أن ادعوك لذلك الليلة الماضية حين تحدثنا هاتفياً.»

أجاب: «انني لا أريد ان اسبب لكما اي ازعاج فأنا وروبرت لا نحتاج اكثر من ثلث ساعة، ثم نترككما أنا واوليفيا.»

قالت: «هذا كلام فارغ. سنتناول بعض العصير، ثم الغداء، وبعد ذلك يمكنكما أن تتحدثا في شؤونكما العملية.»

حنى رأسه قائلاً: «لا بأس، إذا كنت تصرين على ذلك.»

قال روبرت: «نعم. نحن نصر. والآن، ماذا تشربون؟» ونظر إلى اوليفيا مستطلعاً، فقالت: «انني في الواقع، افضل فنجاناً من القهوة إذا كان بالامكان ذلك.»

قال: «طبعاً لا مشكلة في هذا. وأنت يا كلينت؟»

أجاب: ليكن كوباً من عصير البرتقال، من فضلك.»

كان واضحاً أن آن لم ترحب مطلقاً بمجيء اوليفيا، ولم يكن التكهن بسبب ذلك صعباً. وهكذا امتلأ جو الغرفة بذبذبات العداء.

استقامت اوليفيا في كرسيها. لم تشأ أن تدع هذه المرأة الفظة ترهبها، سواء كانت تلبس حذاء بكعب عالٍ، أم لا.

وعندما جلسوا إلى المائدة، لم تتحسن الأمور.

قالت آن تخاطب كلينت: «ان لدينا لحم غزال. لقد اصطاده أبي بنفسه منذ يومين.»

أضاف روبرت قائلاً: «بالقوس والنشاب.»

ذلك أن فصل الصيد بالبندقية لم يكن ابتدأ بعد. كان جد اوليفيا صياداً مشهوراً، وكان يمد اسرته بنصف احتياجاتهم من اللحم تقريباً، كل عام. وكان لحم الغزال على مائدتهم على الدوام.

سألتها آن بلهجة حلوة: «هل سبق وذقت لحم الغزال من قبل؟»

أجابت اوليفيا باسمة وهي تتناول السلطة: «نعم، لقد سبق لي ذلك.» فقد صممت على أن لا تدع هذه المرأة تنال منها.

كان الطعام لذيذاً استمتعت به اوليفيا كلياً. لقد قررت عدم الاهتمام بتلميحات آن ووخزاتها، وقابلت كل ذلك بدعابة مهذبة، واعية إلى عيني كلينت اللتين كانتا تلاحظانها عبر المائدة. وبعد ذلك انسحب الرجلان إلى مكتب روبرت، تاركين اوليفيا وآن وشأنهما. ولم تشعر اوليفيا بالسرور لفكرة قضاء ثلث ساعة او اكثر، مع هذه المرأة ذات المشاعر العدائية نحوها.

قالت لها آن بعد لحظة تأملتها فيها: «حسناً، من أي مكان في العالم التقطك كلينت؟»

أذهل هذا السؤال اوليفيا، ولكن ليس لفترة طويلة إذ اجابتها ساخرة: «من حمام عمومي في إحدى المقاطعات من اعمال واشنطن، إذ كانوا يفركون جسدي بعد أن بقيت دون استحمام مدة شهر.»

فغرت آن فاها وهي تحملق فيها ذاهلة وقد بدا أنها لم تجد ما تقوله، واغتنمت اوليفيا هذه الفرصة، لتنهض وتترك الغرفة. وفي الردهة عند المدخل وجدت جاكتتها فارتدتها ثم خرجت.

كان الجو مايزال بارداً، ولكن الشمس كانت مشرقة فاستنشقت الهواء النقي بعمق وهي ترفع بصرها نحو السماء الزرقاء، وما لبثت ان انفجرت ضاحكة.

وتمشت اوليفيا في الحدائق فترة قبل ان تعود إلى مدخل المنزل. وكانت ترتجف من البرد، ولكنها لم تشأ العودة إلى الداخل إذ ربما كانت السيارة ماتزال مفتوحة.

كان الأمر كذلك، فدخلتها ثم اغلقت الباب. وكانت السيارة موضوعة في ظل المنزل، ولهذا كان البرد في داخلها لا يكاد يختلف عنه في خارجها إلا قليلاً.

ومر الوقت. ربع ساعة. نصف ساعة. وازداد شعورها بالبرد اكثر فأكثر، ما جعلها تزداد غضباً على غضب. ما الذي جعل كلينت مورغان يتصرف بهذا الشكل؟ فقد دعاها إلى نزهة في الأرياف للتحدث عن مؤسسة ميرسي، ولكن ها هي هنا تكاد تموت من البرد، في الوقت الذي يدير هو فيه اعماله وكأن وقتها هي لا يستحق شيئاً، أو كأن لا عمل لها سوى انتظار حضرته ليتفضل بالقدوم. وخرجت من السيارة وأخذت تقفز على قدميها تستجلب الدفء. وكان بإمكانها، طبعاً ان تعود إلى الداخل، ولكنها فضلت على ذلك، الشعور بمثل هذا الصقيع. ومرت نصف ساعة أخرى دون ان يأتي ما جعل غضبها يستحيل إلى ثورة عنيفة. فلو كان المفتاح في السيارة لقادتها حتماً مبتعدة بها.

وازداد انكماشها في جاكتتها وهي ترتجف من البرد. وتمتمت: ويحك يا كلينت مورغان. انك متغطرس عديم الاعتبار للآخرين. ويحك رغم اموالك وسلطتك وسيارتك الفيراري، ويا ليت السباع تلتهمك.

وبعد عشر دقائق فكرت بعدها بالدخول إلى المنزل والذهاب رأساً إلى مكتب روبرت طالبة من كلينت إعادتها إلى منزلها، إذا بباب المنزل الأمامي يفتح ويخرج منه كلينت. وأخذت اوليفيا تنظر إليه وهو يتقدم نحوها بخطوات واسعة بينما هي تصرف بأسنانها.

صعد هو إلى مقعد القيادة، ثم ألقى عليها نظرة نفاذة وهو يقول: «كنا نفتش عنك. ما الذي تفعلينه هنا في مثل هذا البرد؟»

قالت: «ان الصحبة هنا هي أفضل.»

فتح باب المنزل مرة أخرى ليخرج منه روبرت متقدماً نحوهما إلى حيث باب السيارة المفتوح، ثم انحنى ليرى داخلها وهو يقول مبتسماً لاوليفيا: «الاثنين، اننا هنا اثناء فصل الإجازات. عودا لزيارتنا.»

ابتسمت له اوليفيا وهي تقول: «شكراً للغداء، لقد كان لحم الغزال لذيذاً للغاية.»

وانتهى الحديث المهذب وسارا بالسيارة عائدين إلى الطريق العام. وكانت من الغضب بحيث لم تستطع الكلام، فأخذت تحدق من النافذة إلى الخارج، مشيحة بوجهها عن كلينت.

سألها بعد فترة صمت: «كم لبثت هنا في الخارج؟»

أجابت: «نفس المدة التي امضيتماها، انت وروبرت، في المكتب تقومان بعملكما المهم.»

قال: «لقد دخلنا في بعض المشكلات، وكان علينا أن نتصل بروما، وكنت متوقعاً أن آن ستكرم وفادتك. فما هي المشكلة؟»

استدارت تواجهه قائلة: «مشكلة، أم مشكلات؟ أولاً، لقد دعوتني لنزهة في الأرياف، وإذا بي انتهي في قاعة مليئة بالتحف حيث هناك ذئبة شقراء مخبولة. ثانياً، لقد قلت انك ستتحدث في شؤون العمل لمدة ثلث ساعة أو نحوها، فكان أن تركتني وشأني مدة ساعة ونصف، إلى أن كدت أموت برداً هنا خارج المنزل، وبعد ذلك تسألني ما هي المشكلة. وربما يدهشك أن تعلم أن لديّ ما هو أفضل لاستغل وقتي به، بدلاً من الطواف في الأنحاء في انتظارك. ان كونك ثرياً لا يعطيك الحق في ان تشغل اوقات الآخرين دون اعتبار لمشاعرهم، أو احتياجاتهم. انني لا أحب استغلالي بهذا الشكل، ليس بواسطتك أنت أو أي شخص آخر! حتى ولو كان عندك مليون دولار بين يديك وكنت أنا احتطب في الغابة.»

وتنفست بعمق وهي تضغط على اسنانها بشدة. ها قد قالت ما تريد وربما جعلها ذلك تودع أي أمل في اكتساب مبلغ منه لمؤسستها. ولكن، فليكن هذا. وربما استطاعوا ان يحصلوا على التمويل من مصدر آخر.

قال وهو يحدق في الطريق أمامه: «انني اعتذر.»

عادت تقول: «ثالثاً، كان عليك أن تخبرني انك ستزور بعض الناس، إذن لارتديت شيئاً آخر غير بنطال الجينز القديم هذا.»

ألقى نظرة على الرقعتين بشكل القلب واللتين على ركبتيها وهو يقول: «ان بنطالك هذا يعجبني.»

قالت: «ليس هذا هو الموضوع.»

قال: «الموضوع هو، طبعاً، انني كنت انانياً متغطرساً لا أداري شعور الآخرين.»

قالت بلهجة حلوة: «ان معرفة النفس هي أولى درجات الحكمة. هذا ما كانت تقوله جدتي.»

قال: «سأتذكر هذا. والآن اخبريني ما الذي حدث لكي يجعلك تخرجين من المنزل؟»

أجابت: «لقد كانت تلك المخبولة المعجبة بك كريهة للغاية، فلم أشأ ان اعرض نفسي لذلك. ففكرت في أن أخرج إلى الباب الأمامي لكي انتظرك هناك، إذ لم تكن ثلث الساعة بالمشكلة، ولكن ساعة ونصف جعلت البرد يصل إلى عظامي.»

قال: «هل مازلت تشعرين بالبرد؟»

أجابت: «نعم.»

قال: «هنالك فندقاً صغيراً آخر هذا الطريق. سنقف عنده لكي نتناول شراباً ساخناً.»

قالت: «لا تزعج نفسك. سأتناول شيئاً في منزلي.»

قال: «بل سنتوقف.»

كان المطعم في ذلك الفندق الصغير يقع في بناء أثري يحوي جمال العالم القديم، إلى جو مريح. وكانت النار تتوهج في المدفأة.

قال للمضيفة التي بدت وكأنها صاحبة المكان: «اننا نريد مائدة بجانب المدفأة.» ونظر إلى اوليفيا يسألها: «اتريدين قهوة؟»

أومأت برأسها قائلة: «أي شيء يطرد البرد عني.»

قالت المرأة: «ان عندي شاياً مع النعناع وهو أقوى مفعولاً من القهوة.»

أجابت: «حسناً، هذا رائع.»

وهكذا كان. وادفأها هذا الشراب الحار، ما جعل غضبها يتلاشى. وحدقت في نار المدفأة، شاعرة بالدفء، وهي تسأله قائلة: «هل تعرفها منذ مدة طويلة؟ اعني بذلك آن.»

أجاب: «منذ سنوات.»

عادت تسأله: «هل تطمع بك؟»

أجاب بجفاء: «انها تطمع في اموالي.»

قالت: «وكذلك أنا.»

فارتسمت على شفتيه ابتسامة ملتوية ولكنه لم يقل شيئاً، وإنما جلس ينظر إليها.

قالت تلطف من الأمر: «أريد النقود لأجل مؤسسة ميرسي، وهذا هو سبب قدومي معك هذا الصباح.»

قال: «طبعاً.»

آه، انها اضاعة وقت ليس إلا. وعادت تقول: «اظنني لا اصلح للسعي في تمويل المؤسسة.»

قال: «ولكنك تقومين بذلك بشكل حسن.»

نظرت إليه بارتياب ثم قالت: «ان الذي يسعى لمثل هذا عليه أن يعرف كيف يتملق الناس ويجاملهم.» ذلك ان تملق الآخرين لم يكن من عادتها. فقد كانت تتكلم كثيراً ولا تستطيع امساك لسانها.

استند إلى الخلف وهو يتأملها بهدوء، قائلاً: «هذا ليس ضرورياً. إن لدي عرضاً لك.»

الفصل الثاني

عرض لها؟ وحدقت اوليفيا في كلينت. ما الذي يعنيه بهذا؟ وأخذت رشفة من كوب الشاي بالنعناع وهي تسأله قائلة: «وما هو نوع هذا العرض؟»

نظر إليها مباشرة وقال: «إنني أريد أن أقدم هبة إلى مؤسسة ميرسي بخمسة آلاف دولار.»

ابتدأ قلبها يخفق. خمسة آلاف دولار؟ هذا شيء عظيم ورائع، ولكنه لم يكن عرضاً. وتنبّه في نفسها جهاز الخطر.

قالت له بحذر: «تلك هبة سخية جداً. ولكن شكوكاً تراودني في أن ثمة شيئاً آخر خلف هذه الهبة.»

أجاب وهو ينظر إليها بغموض: «إن لديّ في فترة الاجازات هذه عدداً من الالتزامات ما بين عملية واجتماعية، عليّ أن أقوم فيها بنشاطات متنوعة. وأنا أريد منك أن تكوني تحت تصرفي في مرافقتي، أثناء ذلك.»

فغرت فاها دهشة. لماذا يريد أن يأخذها معه؟ ولكن لا بد أن هناك نساء كثيرات يحمن حوله، متشوقات إلى لفت انتباهه. نساء رائعات يملكن المال والملابس الأنيقة الغالية. فما الذي يريده منها؟ ولم تفهم من هذا شيئاً.

أخيراً قالت: «لا بد انك تمزح.»

أجاب: «كلا، إنني لا أمزح.»

قالت: «لماذا تحتاجني أنا لأمر كهذا بينما هناك كثيرات يمكنك أن تطلب ذلك منهن؟»

أجاب بلهجة حازمة: «حسناً، إنني لا أريدهن.»

ضحكت. لقد كانت الأمور بعيدة عن التصديق. وقالت: «إذا كنت لا تريد أن ترافق أياً من تلك النساء اللاتي تعرفهن، فلماذا لا تذهب وحدك؟»

أجاب: «هذا غير ممكن، ذلك أنني إذا ذهبت وحدي، فستنقضّ عليّ النسور.»

نظرت إليه ذاهلة وهي تسأله: «النسور؟»

قال: «إن رجلاً مثلي لا يحسن أن يبدو بمفرده عند القيام بمثل تلك النشاطات. إن ذلك يدفع نوعاً من النساء إلى أن يحاولن ملء ما يفترضن وجوده من فراغ في حياتي. وأنا حالياً لا أريد مثل هذه الأشياء.»

قالت: «آه، فهمت. ما أشد الضيق الذي يسببه لك هذا.»

قال بدعابة جافة: «إنه لا يمكن وصفه.»

إذن، فهو يحتاجها لكي تبعد عنه النسور. لأنها لا تعدو أن تكون امرأة مجهولة، معلمة بسيطة لا يمكن أن تجتاحها تصورات طموحة أو ان تهدّد طمأنينته النفسية، ويمكنها أن تكون لائقة المظهر إذا هي ارتدت الملابس المناسبة، كما أن بامكانها التحدث بما يناسب المقام. صحيح أنها ليست رائعة الجمال، ولكنها كانت حسنة الشكل بما فيه الكفاية.

قالت له وعيناها في عينيه: «أتراك تعني بالنسور أمثال آن؟»

أجاب: «نعم.»

قالت وما زالت عيناها في عينيه: «وهذه النزهة القصيرة في الأرياف كانت مجرد امتحان، أليس كذلك؟»

لوى شفتيه قائلاً: «طبعاً.»

فساورها التردد وهي تعبث بكوبها برهة، ثم قالت ببطء: «لقد أعجبتني هبتك البالغة خمسة آلاف دولار. ولكن خروجي معك لتفادي تلك الأمور التي تتحدث عنها، لهي فكرة غريبة، إذ لم يسبق لي قط أن زاولت أمراً كهذا، فأنا لن أعرف ما عليّ أن أتحدث به، وليس لديّ أي نوع من الملابس لمثل تلك المناسبات.»

قال كلينت بإشارة فيها بت الأمر: «من الطبيعي أن أتكلف أنا بكل نفقاتك من ثياب وأحذية وحليّ مهما كان نوعها. اعتبريها نفقات عمل.»

قالت تجيبه: «هل كل ما عليّ أن أفعله هو أن أتأنق وأتزيّن لكي أحضر تلك الاجتماعات معك؟»

أجاب: «بالضبط.»

قالت: «وبعد أن ينتهي الاجتماع، تعيدني إلى منزلي؟»

أجاب: «إن هذا سيكون مزعجاً، إذ ان تلك الاجتماعات غالباً ما تنتهي في وقت متأخر.» وكان صوته بارداً عملياً وهو يتابع قائلاً: «فإذا لم يكن لديك عمل في المدرسة في الصباح التالي فستكونين ضيفتي.»

غاص قلبها بين ضلوعها وهي تقول: «هذا ما كنت أخاف منه.»

بقي وجهه جامداً لا يعبّر عن شيء وهو يجيبها قائلاً: «إن لديّ غرفة جاهزة لك، وستكونين مرتاحة فيها تماماً.»

أجابت: «لا أشك في ذلك لحظة واحدة، ولكن إذا كنت تخطط لشيء آخر في نفسك... فانني أحذرك من أنني لن...»

رفع حاجبه بدهشة ساخرة. وشعرت تجاه ذلك بارتباك جعل وجهها يتوهج خجلاً.

وألقى عليها نظرة طويلة، ثم قال: «أترينني رجلاً كريهاً إلى هذا الحد؟»

ازدردت ريقها قائلة: «ليس هذا ما قصدته. إنني فقط...»

قاطعها قائلاً: «أعلم ذلك، حسناً، دعيني أوضح الأمر. إن هذا عرض عمل لا يحتوي على أي شروط عاطفية.»

استقامت في جلستها وهي تقول له: «هل لك أن تضع هذا البند في العقد؟»

أجاب دون أن يعبّر وجهه عن شيء: «لا بأس، إذا شئت ذلك.»

قالت: «نعم، أريد ذلك.»

وقف كلينت قائلاً: «دعيني أحضر حقيبة الأوراق من السيارة لكي ننهي هنا كل شيء. ويمكنك أن تراجعيه لتري ما إذا كان يحوز رضاك.»

أحضر حقيبته من السيارة وفتحها ليخرج منها ورقة وقلماً وابتدأ يكتب. بدت يداه رائعتي الجمال بسمرتهما المكتسبة وأصابعهما الطويلة القوية، وأظافره المربعة. ولم يكن يضع خاتم زواج.

قال لها وهو يناولها الورقة: «هاك ما تريدين.»

قرأت ما كتبه على الورق بخط قويّ واضح، ما سبق وقاله بالضبط، إلا انه لم يذكر مؤسسة ميرسي ولا مقدار الهبة التي سيقدمها، وربما كان من الأفضل ترك هذا الأمر خارج الورقة هذه.

سألته: «كم قلت مقدار المبلغ؟»

أجاب: «خمسة آلاف دولار مضافاً إليها النفقات.»

أومأت برأسها مفكرة، ثم عادت تسأله: «ما نوع ثرائك؟ أعني هل أموالك نظيفة المنشأ أم قذرة؟»

ارتسمت على فمه ابتسامة صغيرة ملتوية وهو يقول: «بالنسبة إلى شخص يبدو عليه عدم الاهتمام بالمال، تظهرين أنت عكس ذلك.»

قالت: «أوه، إنني أهتم كثيراً بالمال فلا تخطىء في هذا الشأن. إنني أريد عشرة آلاف دولار.» وتصاعدت خفقات قلبها حتى خشيت أن يسمعها هو أو أحداً من الموجودين في المطعم.

ولم تتغير ملامح وجهه وهو يقول: «إنك تساومين بشدة.»

ابتسمت قائلة: «إنني كعكة خشنة المذاق، وأنت تطلب مني الكثير.» وكان لفكرة اختلاطها بالأثرياء والمشهورين صدى خاص. كما كان يبعث فيها هلعاً لا ينكر، فقد كانت مدرّسة جيدة كما هي منظمة جيدة، وهي تعرف أيضاً كيف تطبخ وتخيط الملابس كل يوم. أما الدخول إلى المجتمعات فلم يكن في حسبانها.

أخذ كلينت يتفحصها بهدوء، ثم قال: «سأعطيك ثمانية آلاف دولار على شرط انك أثناء العطل المدرسية، عليك أن تكثي عند حاجتي إليك، في المدينة أثناء النهار.»

سألته: «تحتاجني لأيّ شيء؟»

أجاب: «لتناول وجبات طعام عمل، أو أيّ شيء طارىء.»

أعجبتها لهجته الحازمة وكأنه يعتبر أن عليها أن تمتثل له كل وقتها. فقالت له: «إن لي حياتي الخاصة، كما تعلم، وغرفة الأطعمة التابعة للمؤسسة هي في بيتي حيث يتعيّن على البعض أن يأخذوا منها التوزيع اليومي. وعلينا أن نجهز وجبات خاصة للعيد الكبير. وعليّ أن أكون

موجودة للاهتمام بأيّ وضع طارىء. لا يمكنني أن أوقف كل أعمالي.»

هزّ كتفيه قائلاً: «حاولي أن تتخذي ترتيبات بالنسبة إلى كل ذلك.»

طبعاً. هذا أمر بسيط. قال إن عليها أن تتدبر أمورها وطبعاً هذا ما يناسبه. فالرجل الذي يملك نقوداً يمكنه أن يتخذ أية ترتيبات لأي أمر كان، بإمكانه أن يلقي بأوامره إلى من حوله، أن يطلب ما يريد، فالغنى يمنح المرء السلطة والنفوذ.

قال لها: «لا تنظري إليّ هكذا. ضعي على خط هاتفك رقم هاتفي لينقل إليه مكالماتك. وأنا سأتصل بمكتب الخدمات لكي يسلّم الأطعمة عندما تكونين في الخارج، وعندما يصبح ذهابك إلى منزلك ضرورياً، يمكنك عندها أن تضعي جدولاً وأتصور أنه سيكون لديك وقت كافٍ.»

بدا لها هذا معقولاً تماماً. وبثمانية آلاف دولار يمكنها أن تستنتج أيّ شيء. وثمانية آلاف دولار تستحق بعض التضحيات.

أومأت قائلة: «لا بأس. إنني أقبل بهذا ولكن ليلة العيد سأمضيها مع صديقتي سيليا وأسرتها.» وكانت سيليا أفضل صديقاتها منذ كانتا في روضة الأطفال. كما أن أسرة سيليا كانت كأسرتها.

قال: «ليس في هذا أية مشكلة.»

قالت: «هنالك شرط آخر. إنني أريدك أن تمنح الهبة مباشرة لمؤسسة ميرسي على أن تعدني بأن لا تذكر مطلقاً الترتيبات التي اتخذناها لأي شخص كان. أرجوك.»

أومأ برأسه قائلاً: «هذا مفهوم. والآن، المهمة التالية ستكون يوم السبت القادم وهو عشاء خيري.»

السبت القادم. وغاص قلب اوليفيا بين ضلوعها. ذلك أن عليها أن تذهب إلى فيلادلفيا حيث داون وريبيكا لقضاء الإجازة الاسبوعية. حسناً، يمكنها أن تعود صباح السبت بدلاً من الأحد. ذلك أن الفرصة قد فاتت لتغيير رأيها.

سألته: «عشاء خيري؟ هل هو من تلك المناسبات التي يتباهى فيها كل انسان بأمواله وملابسه الغريبة ويدفع مئتين وخمسين دولاراً للطبق الواحد؟»

أجاب يصحح كلامها: «بل خمسمائة للطبق الواحد. وريع هذا العشاء يعود إلى إنشاء متحف جديد.»

قالت: «لا بد أن الطعام سيكون ممتازاً.»

أجاب: «هذا ليس دائماً. ولا أعدك بذلك.»

وأخرج من حقيبته دفتر الشيكات وابتدأ يكتب، وهو يقول: «أربعة آلاف الآن، والأربعة آلاف الأخرى في أول شهر كانون الثاني، يناير.» وأخذ يكتب شيكاً آخر قائلاً: «وهذا للنفقات. ابتاعي لنفسك أثواباً وأحذية وكل ما تحتاجينه، ولتكن الملابس مما تصلح للمناسبات.» ورفع عينيه لحظة ينظر إليها، ثم عاد يقول: «وإذا أردت أية مساعدة فاطلبيها من باميلا ولا تهتمي بالتباهي بالملابس الغريبة، وتذكري ان الملابس الكلاسيكية هي دائماً الملابس الصحيحة المفضلة.»

قالت مازحة: «نعم، يا سيدي الكريم.»

عادا إلى السيارة، ورغم برودة الجو فقد كانت الشمس رائعة متألقة. وربما بدت لها أكثر تألقاً وهي تفكر في الهبة

المتوقعة من كلينت لمؤسسة ميرسي وكانت الفرحة تغمر قبلها حتى كادت معها أن تهتف ضاحكة بصوت عالٍ.

اجتازا جسراً ريفياً بسيطاً فوق جدول مياه ضيق. وكان على الناحية الأخرى من الطريق فتى وفتاة بدا أنهما يعيشان الحب والرومانسية.

قالت اوليفيا وهي تتنهد بشكل مسرحي: «آه، يا للحب الفتيّ.»

قال كلينت: «انهما سيصابان بالبرد.»

ضحكت وهي ترفع شعرها من فوق كتفيها قائلة: «ولكنهما لا يشعران بأيّ برد.»

سألها: «هل تتكلمين عن خبرة؟»

أجابت ضاحكة: «طبعاً. لقد أحببت عندما كنت مراهقة. وقد دام حبي لأكثر من أسبوع.»

قال: «يبدو أن حبك ذاك كان جاداً.»

قالت: «في ذلك الحين كنت جادة حقاً، فقد كنت دوماً أظنه حباً حقيقياً، إلى ان انتهى.»

سألها: «وبعد ذلك؟»

أجابت: «لقد وقعت في حب حقيقي عندما كنت في الثانية والعشرين، وذلك في الجامعة، وقد دام حبي ذاك أكثر من سنة.»

سألها: «وبعد ذلك؟»

أجابت: «اكتشفت أنه مرتبط في بلدته ويخطط وعروسه.»

رفع حاجبه متسائلاً: «وما الذي حدث بعد اكتشافك هذا؟»

أجابت: «قال إنه سيلغي الزواج. ولكنني قلت له كلا، شكراً لك.»

وكانت عند ذاك، من الغضب والذهول لصحوتها المفاجئة إزاء خداعه ذاك لها، بحيث لم تعد ترغب في استمرار علاقتهما.

عاد يسألها: «وماذا حدث بعد ذلك؟»

أجابت: «لقد كرهت كل الرجال، بالطبع وذلك لمدة ستة أشهر تقريباً. ولكنني لم أستطع الاستمرار في ذلك فهذا يستوجب كثيراً من الصبر، كما تعلم، هذا إلى انني رأيت أن ليس من الانصاف أن أسيء الظن بنصف الجنس البشريّ لمجرد أن رجلاً واحداً كان دنيئاً معي. كذلك كان لديّ الكثير من الأصدقاء الذين أعرف جيداً أنهم موضع للثقة تماماً.»

وابتسمت ابتسامة عريضة وهي تقول: «وهكذا أنا الآن في السادسة والعشرين من عمري، معلّمة عانس. وهذا محزن أليس كذلك؟»

أومأ برأسه قائلاً: «إنها مأساة. هل تحبين أن تكوني متزوجة؟»

أجابت: «نعم، ولكن بالرجل المناسب وإلا فالأمر لا يستحق المتاعب. وماذا عن شؤون الحب عندك؟ لا بد انك تعرف نساء متألقات وافرات الغنى؟»

ولم تصدّق نفسها أنها كانت تلقي عليه حقاً سؤالاً كهذا. ولكن، بما أنها أخبرته عن نفسها فقد جاء دوره الآن.

أجاب: «لقد كانت سمعتي في ذلك، مبالغاً فيها جداً.»

وكان هذا كل ما قاله. وادركت هي أن عليها أن لا تلحّ عليه في السؤال.

سألته اوليفيا: «اين تسكن؟»

أجاب: «انني اسكن في شقة في نيويورك ومنزلي واسع. وكوني أعيش وحدي فأنا أستعمله في المناسبات فقط.»

اجتاز المدينة الصغيرة، وكان كلينت يزيد من سرعته قليلاً. سارا في طريق ضيّق متعرج قادهما عائدين إلى فريندلي التي لم تكن أكثر من مجرد قرية تحوي حوالي الثمانين بيتاً ومحطة بنزين ومتجراً صغيراً، هذا إلى مدرسة ابتدائية.

سألها: «هل نشأت هنا؟»

أومأت اوليفيا برأسها قائلة: «نعم، لقد رباني جداي وكذلك داون بإرشاداته. إنه عمي في الواقع ولكنه بالنسبة إليّ هو أخ. فهو لا يكبرني بأكثر من اثنتي عشرة سنة، وهو يعيش الآن في فيلادلفيا مع زوجته ريبيكا وابنتيه التوأمين. وأنا ذاهبة إليهم في العيد.» ولوت شفتيها وهي تقول: «إنني آسفة إذ أدخل الضجر إلى نفسك. فأنت لم تطلب مني سرد قصة حياتي.»

قال: «لا بد أن قصة حياتك تحوي أكثر من ذلك.»

أجابت: «أوه، ليس الكثير، فأنا فتاة عادية تماماً.»

رمقها بطرف عينه بنظرة سريعة، ولكنه لم يقل شيئاً واجتاز الطريق القصير ليقف أمام منزلها. وفتح لها الباب حيث نزلت منه.

كان واقفاً قريباً منها، مشرفاً عليها بقامته، ما جعلها ترفع رأسها لتنظر إليه. وتلاقت عيناها بعينيه ما شعرت معه بإحساس غريب جعل قلبها يخفق.

ومد يده الكبيرة السمراء، قائلاً: «إذن، فقد أصبح ثمة تعامل بيننا.»

صافحته وهي تنظر في عينيه قائلة: «نعم. أشكرك للهبة تلك، فالمال سيفيد إلى درجة كبيرة.»

أجاب: «هذا حسن، سأراك في الاسبوع القادم إذن. وسأتصل بك هاتفياً.»

دخلت منزلها لتقف في النافذة تراقبه وهو يدخل سيارته بقامته الفارعة الضامرة.

عند ذلك فقط، داخلها الرعب.

ما الذي أوقعت نفسها فيه الآن؟

الفصل الثالث

لم تستطع اوليفيا الرقاد جيداً تلك الليلة، فقد امتلأ ذهنها بالقلق. وساورتها أحلام متقطعة متشابكة، بدا فيها كلينت بقميص قصير الكمين وعيناه تنظران في عينيها بعمق.

واستيقظت ترتجف من البرد، إذ كان اللحاف قد سقط على الأرض، فغطت جسمها جيداً وعادت إلى النوم. ولكن نومها لم يأتها بمزيد من الراحة. وعندما استيقظت كانت متعبة للغاية.

قالت لسيليا أثناء ذلك النهار: «إنك لن تصدقي ما حدث.» وكانت مدعوة لغداء يوم الأحد في منزل والدي سيليا، وكانت الفتاتان في المطبخ معاً يعدّان السلطة.

أخبرتها اوليفيا بالذي حدث معها نهار أمس. واستمعت إليها سيليا وهي تحملق فيها غير مصدقة، وقد تملكها الفضول، ثم هتفت بها قائلة: «تصوري كيف ستصبحين. فكري في كل تلك الملابس الرائعة التي ستشترينها. فكري في تلك النقود لمؤسسة ميرسي.»

تجهم وجه اوليفيا وهي تجيبها قائلة: «من الممكن أن أستفيد من النقود، أما كيف سأصبح، فهذا ما أنا غير مطمئنة إليه.» وشعرت بالارتياح إذ وجدت من تكاشفه بمشاعرها هذه. وسرها أن سيليا لم تظن بها الغفلة لقبولها بعرض كلينت هذا.

قالت لها سيليا بأسف: «أتمنى لو كان بامكاني الذهاب

معك إلى المتجر لشراء ثوب لك، ولكن عملي ما زال هذا الاسبوع من الساعة الثالثة إلى الحادية عشرة.» وكانت سيليا ممرضة تعمل في المستشفى في مدينة واينبرغ، وتابعت تقول: «لِمَ لا تطلبين من باميلا أن تصحبك؟»

أجابت اوليفيا: «إن لديها أصدقاء ضيوفاً من إيطاليا يقيمون في بيتها. أتذكرين؟ فأنا لا أريد أن أطلب منها ذلك فأحرجها. لا بأس، ستذهب معي ريبيكا يوم الجمعة في فيلادلفيا.»

وفي تلك الليلة لم يكن نوم اوليفيا بأفضل منه في الليلة السابقة. إذ كانت لا تفتأ تتقلب وتحلم بكلينت.

في اليوم التالي بعد انتهاء الدراسة يوم الأربعاء، ركبت سيارتها البيجو قاصدة إلى فيلادلفيا لتمضي العيد مع داون وريبيكا وابنتيهما، ولم تستطع الصبر طويلاً على إخبار ريبيكا عن كلينت مورغان.

ولم تتكلم ريبيكا وإنما ضحكت قائلة: «حسناً، سنذهب إذن يوم الجمعة لشراء الثوب.»

هتفت اوليفيا: «آه يا ريبيكا، أشكرك جداً. لقد توقعت منك هذا.» ولوت ملامحها وهي تسألها قائلة: «أتظنين أن عملي ذاك كان جنوناً؟»

أجابت هذه: «طبعاً ليس بالنسبة إلى كل هذه النقود الممنوحة لمؤسسة ميرسي، طالما انك واثقة من أنه ليس محتالاً على مستوى عالٍ.»

أما داون المحامي، فكان أقل حماساً وهو يقول: «دعيني أتحرى عن هذا الشخص قبل أن تقومي بأيّ شيء، يا اوليفيا. سأجري لذلك بعض الاتصالات.»

ولكن الاتصالات الهاتفية اتفقت جميعاً على إعطاء إفادات ممتازة. وعاد داون من مكتبه وقد بدا عليه الذهول وهو يخاطب اوليفيا قائلاً: «إنه أحد أكثر الرجال ثراء في الساحل الشرقي. أين التقيت به يا اوليفيا؟»

أجابت على الفور: «في كافيتيريا المدرسة.»

أمضت اوليفيا وريبيكا صباح يوم الخميس في إعداد ديك الحبش لعشاء العيد. وكان الجوّ أثناء هذه العطلة دافئاً رائعاً، كما هي العادة دائماً عندما كانت تمضي عطلتها مع داون وأسرته.

صباح الجمعة، مضت ريبيكا بأوليفيا إلى السوق في سيارتها، وهي تقول: «إنني أعرف المكان المناسب لذلك. انتظري وسترين.»

كانت واجهة المتجر رائعة، حيث كانت عارضات الأزياء المانيكان الممشوقة القوام، الرافلة في الحرير والأطلس تنحدر بنظراتها باحتقار إلى النساء المتلهفات اللاتي كن يحدقن فيها بذهول.

هرعت إليها البائعة التي كانت ترفل في ثوب حريري، قائلة: «هل أستطيع المساعدة أيتها السيدتان؟»

رفعت اوليفيا ذقنها باسمة وهي تقول: «إنني بحاجة إلى ثوب، لأنني ذاهبة إلى حفلة عشاء رائعة يوم السبت.»

قالت البائعة ببرود واضح: «فهمت.»

منحتها اوليفيا ابتسامة حلوة، وقد عاودتها روح الفكاهة لتقول: «إنني أعلم أنني لا أبدو كما ترغبين، ولكن عندي أطنان من النقود فلا تخافي.»

وبهتت البائعة، ولكنها سرعان ما تمالكت نفسها لتقول:

«حسناً، دعينا نرى. هل تطلبين زياً لمصمم معيّن؟»

أجابت: «كلا. ولكنني دوماً أحب الأشياء الحديثة، ذات الأفكار الجديدة. لا شك أنك فهمت ما أعني.» وأشرق وجه اوليفيا بالابتسام.

أجابت البائعة: «بالطبع، دعيني أرى.» وألقت على اوليفيا نظرة شاملة، ثم سألتها: «هل رقم مقاسك ثمانية؟»

أومأت اوليفيا بالإيجاب وهي تراقب البائعة التي توجهت إلى حيث أخرجت ثوباً أسوداً متألقاً عادت إليها قائلة: «ما رأيك في شيء كهذا؟ إنه أنيق تماماً واللون الأسود محبوب على الدوام.»

قالت ريبيكا وهي تفحص القماش باصبعيها: «إنه رائع الجمال.»

قالت اوليفيا: «إنني أكره اللون الأسود، إذ أبدو به وكأنني ذاهبة إلى جنازة.»

حملقت البائعة فيها وهي تقول: «إن اللون الأسود أنيق جداً وشيك جداً كما يقول الفرنسيون.»

قالت اوليفيا: «إنني أعرف فقط ما يقوله الفرنسيون من أن الأسود هو لون الموت. أريد شيئاً مشرق اللون.»

وهكذا أحضرت البائعة أثواباً ذات ألوان مختلفة، ياقوتي وفيروزي، وأحمر، وأخضر، وأزرق. وأشرق وجه اوليفيا بالابتسام وهي تقول: «هذه هي الألوان التي أحب.»

واستغرق منهما التجوال في المتاجر ساعات لكي يجدا الثوب الذي أعجب، في النهاية اوليفيا. وكان ثوباً طويلاً أخضر مذهباً من الحرير اللامع وقد لاءمها تماماً.

لكن الثمن كان خيالياً...

ولكن ريبيكا أخذت تناقشها كما فعلت طيلة الصباح وذلك بقولها: «إنه ليس غالياً جداً. إنه لم يمنحك ذلك المبلغ لكي تشتري ثوباً رخيصاً من الأوكازيون. إنه يريدك أن تظهري بمستوى رفيع، وأنت تعلمين ذلك. فكري في أولئك الذين سيكونون هناك من مشاهير الفن والسياسة وأرباب الصناعة والتجارة، ونجوم السينما والنبلاء. فكري في ما يمكن أن تظهر به النساء هناك من ملابس.»

احتجت اوليفيا بقولها: «إنني أشعر بنفسي غير حقيقية. انظري اليّ. إنني لم ألبس في حياتي مثل هذا الثوب الأنيق.»

قالت لها: «إنك تبدين رائعة.»

قالت اوليفيا: «ولكنني لا أرى نفسي كما أعهد.»

أجابت ريبيكا: «لأنك لم تتعودي على رؤية نفسك بهذا الشكل. فأنت تعوّدت على ارتداء الملابس المريحة العادية، ممضية أيامك مع الأطفال. ولكنك حقيقة تبدين رائعة في هذا. إن لك قواماً بديعاً فاظهريه في هذا الثوب، واختالي به كما تختال راقصة الباليه الكامنة فيك.»

أخذ منهما العثور على حذاء مناسب وجوارب وحقيبة يد مناسبة للمساء عدة ساعات أخرى ما عدا الشال والحليّ.

قالت ريبيكا: «يمكنك أن تستعيري مني قلادة جدّتي وقرطيها وهما من الزمرد الأخضر وسيتلاءمان تماماً مع ثوبك هذا. كذلك لديّ شال أسود من القطيفة يمكنك استعماله.»

قالت اوليفيا: «آه، يا ريبيكا. لا يمكنني ذلك.»

أجابت ريبيكا: «يمكنك بالطبع. إنني أصرّ عليك وقرطي الزمرد مؤمن عليهما، فلا تقلقي.»

قبلت اوليفيا دون أن تطمئن تماماً. وعلى كل حال، فقد كان هذا النهار مليئاً بالمغامرات وعدم الطمأنينة. ذلك أنها لم يسبق أن أنفقت في حياتها قط مبلغاً في يوم واحد يماثل ما أنفقته هذا النهار.

وبينما هما في طريقهما إلى البيت، قالت ريبيكا: «كنت أفكر في أنك ستمضين وقتاً طويلاً مع هذا الرجل و...»

قطبت حاجبيها وهي تتابع قائلة: «إنك ستأخذين حذرك، أليس كذلك يا اوليفيا؟ إنني لا أريد أن يصيبك أي أذى.»

أجابت اوليفيا: «آخذ حذري؟ ولكنني سبق وأخبرتك عن الورقة التي كتبها لي. إنه لا يبحث عن أيّ شيء يتعلق بالعواطف معي... وهذه هي النقطة الأساسية. إنه...»

قاطعتها هذه: «ليس هذا ما أعنيه. إن الذي أعني هو... آه، إن ما أريده هو أن لا تقعي في غرام هذا الرجل، يا اوليفيا.»

حملقت اوليفيا في ريبيكا وقد عاد إليها ذلك الحلم بكل زخمه وتنفست بعمق قائلة: «لن أسمح لنفسي بهذا، فأنا لست غبية يا ريبيكا. فالمسألة كلها عبارة عن علاقة عمل، ولا تساورني أيّ أوهام بهذا الشأن.»

قالت ريبيكا: «ولكن الوقوع في الغرام لا يكون عن سابق تصميم يا اوليفيا.»

أجابت هذه: «حسناً، عليّ إذن أن أصمّم مسبقاً على عدم الوقوع في الغرام.»

بدا التشكك على وجه ريبيكا وهي تجيبها قائلة: «إنه

وسيم. وثري... وهو سيأخذك إلى كل أنواع الأماكن المتألقة والأحداث البهية. إنه رجل ذو سلطة، يا اوليفيا.»

أجابت اوليفيا: «إنني أعرف كل هذا. ولكنني عملية جداً. فأنا مجرد معلمة مدرسة متواضعة. فلا تقلقي بشأني.»

في الواقع، بدا في لهجة اوليفيا من التأكد مما تقوله أكثر مما كانت تشعر به في أعماقها.

ذلك أن ما شعرت به في الواقع هو إحساس بعدم الارتياح.

ماذا لو وقعت، حقاً في غرامه؟

حسناً إنها لن تسمح لنفسها بذلك. وكأن الأمر بهذه البساطة.

في اليوم التالي، اتصل بها كلينت بعد وصولها إلى منزلها بقليل. ومرة أخرى كان لصوته ذلك التأثير الغريب عليها. واستطاعت أن تتصوره وكأنه أمامها بعينيه القاتمتين وشعره الكث، وملامحه الباردة غير الأليفة. كما رأت يديه تمسكان بالهاتف وهو يخاطبها قائلاً: «اوليفيا؟ هل تسمعينني؟» وكان صوته حازماً.

سارعت تقول: «نعم. نعم.» وازدردت ريقها.

قال: «إنني أتصل بك لأعرف ما إذا كنت وجدت كافة احتياجاتك هذا النهار، أو إذا كنت تريدين شيئاً آخر.»

قالت: «آه، كلا. إنني جاهزة.»

قال: «حسناً. سأرسل إليك السيارة إذن. إن آلان سيحضرك إلى هنا لكي تغيّري ملابسك. هل يناسبك الساعة الرابعة والنصف؟»

أجابت: «يناسبني تماماً.»

قال: «إلى اللقاء إذن.»

ووصلت سيارة الفيراري الساعة الرابعة والنصف بالضبط كما وعد. وكانت اوليفيا واقفة في نافذة غرفة نومها عندما رأت السيارة تقف أمام منزلها. وأخذت تراقب السائق وهو ينزل منها، ويتجه نحو الباب ثم قرع الجرس. فالتقطت حقيبتها الليلية، ووضعت ثوبها الجديد وهو في كيسه على ذراعها ثم سارت نحو الباب تفتحه.

حيّاها السائق وهو يقف متألقاً في بذلته الرسمية وأخذ يتناول منها أشياءها، ثم ساعدها في دخول المقعد الخلفي من السيارة. وكان يبدو لائقاً تماماً بقامته الطويلة النحيلة. وقال لها وهو يشير إلى خزانة خاصة تحوي أنواعاً عديدة من العصير: «كل ما تشائينه تحت تصرفك، ويوجد قهوة أيضاً في هذه الخزانة. وإذا أردت أن تتكلمي إليّ، فاضغطي هذا الزر.»

كان كل ما استطاعت أن تقوله هو شكراً. وأغلق الرجل الباب. وبعد لحظات كانت السيارة تنساب بهما في الشارع.

وأخذت تحدّق النظر في ما حولها، لم تكن هذه سيارة وإنما كانت غرفة تسير على عجلات، فقد كانت المقاعد عريضة مريحة. وكان هنالك جهاز تلفزيون وهاتف وخزانة تحتوي كل أنواع العصير والأكواب.

وكان تحت النافذة تعليقة للصحف والمجلات. عضت على شفتها لتمنع ضحكة كادت تفلت منها. آه، يا سيليا. كم أتمنى لو رأيتني هنا الآن.

كان ثمة خزانة صغيرة تحوي إناء للقهوة وفناجين

وسكراً وقشدة. وصندوقاً صغيراً ذا غطاء مذهب، يحتوي على قطع من الحلوى المحشوة وكأنها قطع فنية، وقد كتب على البطاقة الملصقة على الصندوق، صنع باريس. وشعرت اوليفيا برغبة مفاجئة في الانفجار بالضحك، حلوى محشوة طازجة من باريس؟ أتراه يحاول التأثير عليها؟ حسناً، فقد نجح في ذلك إذن.

فضلت أن تتناول كوباً من القهوة. وسكبت القهوة في فنجان بحذر، ثم عادت تمعن النظر في الحلوى. كانت تبدو لذيذة يسيل لمرآها اللعاب، إنما جمالها يجعل المرء يحجم عن أكلها. حسناً، سترغم نفسها على ذلك.

وعندما وصلا إلى البناية حيث تقع شقة نيويورك، وحالما توقفت السيارة خرج رجل في بذلة رسمية، من البناية متقدماً نحوها يساعدها على النزول من السيارة وهو يسألها: «الآنسة بل؟»

أجابت: «نعم.»

قال: «إن السيد مورغان في انتظارك. اتبعيني من فضلك.»

قالت: «ولكن أشيائي...»

قاطعها قائلاً: «لا تقلقي... فسترسل إليك فوراً.»

وتبعته إلى الداخل وقلبها يخفق بعصبية. كانت الصالة مشرقة بالثريات البلورية المتألقة. وأشار إليها بالدخول إلى مصعد بدا لها صغيراً بالنسبة إلى هذه البناية ولكنها فكرت في أنه ربما كان مصعداً خاصاً. وصعد هذا بهما بهدوء إلى الطابق الأعلى، حيث انفتح الباب أمامهما عن ممر قصير في نهايته. باب عريض

مزدوج انفتح أمامهما على الفور. وغاص قلبها بين ضلوعها.

وانحدر كلينت بنظراته نحوها، وكان يرتدي بنطالاً قاتماً وقميصاً وصدرة، دون جاكيت وهو يقول: «مرحباً يا اوليفيا. ادخلي.» وتحوّل بصره نحو الرجل الذي جاء معها، قائلاً: «شكراً يا روني.»

حنى الرجل رأسه وهو يقول: «إن حاجيات السيدة ستكون هنا بعد لحظة.» ثم تراجع نحو المصعد.

حدّقت اوليفيا إلى داخل الشقة فاغرة فاها. كل ما استطاعت رؤيته، هو ممرّ آخر ذو أرض رخامية ومرآة كبيرة أثرية من الأرض حتى السقف، ومنضدة عالية صينية الطراز تقوم فوقها على كل من جانبيها أزهار طبيعية غالية الثمن.

ووقفت هي عند العتبة تخشى أن تخطو بقدمها فتتلف روعة الأشياء البادية أمامها، ربما كان حذاؤها متسخاً أو ربما سبق وداست على شيء في طريقها.

سألها كلينت: «هل ستدخلين أم لا؟»

أجابت: «دقيقة واحدة.» وانحنت تفك رباط حذائها الذي يعلو إلى كاحليها، لتخلعه بعد ذلك من قدميها ورفعت بصرها إليه لترى نظرة الدهشة والهزل في عينيه، فرفعت رأسها قائلة: «ليس من المعقول أن أوسّخ هذه الأشياء، فأنا قادمة بحذائي هذا مباشرة من الريف.»

قال: «طبعاً. هيا ادخلي.»

وقبل أن تسير عدة خطوات فوق الأرض الرخامية الباردة، برزت امرأة صغيرة الجسم سوداء الشعر من مكان

غير معروف، وهي تقول: «إنني آسفة، يا سيد مورغان. فأنا لم أسمع الجرس.»

أجابها: «ولكنني لم أقرع الجرس.» والتفت نحو اوليفيا قائلاً: «إنها السيدة نيلسون التي تدير المكان وتهتم بأن لا أموت جوعاً، وهذه اوليفيا بل يا سيدة نيلسون. وستكون هنا في أوقات متقطعة أثناء فترة العطلة.»

ابتسمت اوليفيا مادة يدها، فأخذتها السيدة نيلسون وهي تنظر في وجهها بارتياب، وما لبثت أن ردت لها الابتسامة وكأن شيئاً طمأنها، وهي تقول: «لقد سبق وأخبرني السيد مورغان بأنك ستحضرين. سأصطحبك إلى غرفتك.»

قرع الجرس، فأسرعت السيدة نيلسون تفتح الباب.

وسارعت اوليفيا تقول: «إنها حاجياتي.» وما لبثت أن عضت على شفتها وقد باغتتها شكوك مفاجئة. فقالت: «أرجو أن أكون قد اشتريت الثوب المناسب.»

كان أمامها نوافذ تمتد من الأرض حتى السقف، وتشرف على منظر نهر أكروبس والمدينة المتلألئة بالأنوار.

قالت وهي مبهورة بالمنظر: «أووه... ما أروع هذا.» ومشت على السجادة الصينية بقدميها العاريتين إلا من الجوربين، مقتربة من النوافذ وهي تقول: «لم أشهد المدينة قط بهذه الصفة، من قبل.» واستدارت تنظر حولها. كان للغرفة نكهة الشرق الأقصى، بالسجادة الصينية ومنضدة القهوة الخشبية المنخفضة، وأوعية شرقية قد اختلط فيها اللونان الأبيض والأزرق تحتوي على سعف نخيل ممتدة، وقد أقيمت على مناضد صغيرة منخفضة.

كان المنظر خلاباً حقاً. وانتقل بصرها من شيء لآخر... الرسوم الزيتية، المنحوتات، كل ذلك كان في غاية الدقة والجمال. وفجأة، رفعت بصرها شاعرة بعيني كلينت تراقبانها.

قالت: «إني آسفة، لا أظن فضولي هذا من حسن السلوك. ولكن كل شيء هنا رائع الجمال.»

هز كتفيه قائلاً: «انظري حيث تشائين، فهذا لا يهمني.»

عادت السيدة نيلسون لتأخذها إلى غرفتها التي كانت مترفة هي أيضاً بسجادتها السميكة وسريرها العريض الذي يغطيه غطاء حريري مطرز برسوم الطيور والأزهار يماثل بذلك الستائر. وكان ثمة حمام خاص ملحق بالغرفة يحوي حوضاً تعلوه رفوف فوقها كل متطلبات الاستحمام الثمينة. ومرت اوليفيا بيدها على المناشف السميكة. نظرت إلى ساعتها، ما زال أمامها وقت كافٍ قبل أن تغتسل، ورفعت ذراعيها فوق رأسها وهي تستدير حول نفسها ضاحكة ثم فتحت صنبور المياه فوق الحوض بعد أن وضعت فيه بعض العطور.

ولم تمض فيه وقتاً طويلاً، خوفاً من أن تتأخر عن إعداد نفسها للخروج.

وكان هناك معطفا حمام معلقان خلف الباب، أحدهما ذو لون وردي هادىء والثاني ذو لون أخضر قاتم رائع الجمال. وتناولت المعطف الأخضر فارتدته. كان واسعاً عليها ولكنه مريح تماماً. ولفت حول رأسها منشفة، ثم خرجت عائدة إلى غرفة نومها تجر أذيال معطف الحمام الذي ترتديه على السجادة.

أجفلت وهي تسمع نقراً على الباب. وردّت قائلة: «من بالباب؟»

أجاب كلينت: «هذا أنا. هل بامكاني التحدث إليك؟»

فقهقهت ضاحكة وهي تفتح الباب قائلة: «نعم.»

كان كلينت يحمل بين يديه صندوقاً مخملياً وهو يقول: «قالت باميلا انك قد تحتاجين بعض المجوهرات وهذه أشياء كانت أمي تركتها في الخزنة. ألقي عليها نظرة لتري ما إذا بإمكانك استعمال بعضها، وإلا فسنفتش عن أشياء أخرى.»

أخذت الصندوق منه قائلة: «إن عندي حلياً لهذه الليلة، وقد استعرتها.» وفتحت الصندوق تحدّق فيه، رأت فيه عقوداً وأقراطاً وأساور وكلها مصففة على المخمل الأسود بكل دقة، وقد تألق فيها الذهب والماس ومختلف أنواع الحجارة الكريمة من جميع الأحجام والألوان. وتنفست بعمق وهي تقول: «لا أظنني أشعر بالارتياح وأنا أضع مجوهرات والدتك.»

قال: «ربما هي لا تدري أنها تملك هذه الأشياء، إذ انها في الخزنة منذ سنين، ذلك أن ما يهمها من المجوهرات معها.»

سألته: «وماذا لو فقدت شيئاً منها؟»

أجاب: «إنها جميعاً، مؤمن عليها. وقد طلبت تنظيفها وفحصها جميعاً للتأكد من أنها سليمة تماماً لا شيء فيها مكسور أو مختل. فليس ثمة ما يدعوك إلى القلق.»

وأقفلت اوليفيا الصندوق. يبدو أن لا خيار أمامها فقد كان كل هذا جزءاً من اللباس الذي تحتاجه للتمثيلية. سألته: «وأين عليّ أن أحتفظ به؟»

أجاب: «سأضعه في الخزنة في مكتبي. وسأخرجه عندما تكونين هنا.»

عادت تناوله الصندوق قائلة: «لا بأس إذن، وسأضع ما اعارتنيه ريبيكا هذه الليلة.»

أخذ الصندوق منها وهو يقول: «هذا حسن. هل تريدين أن تشربي أو تأكلي شيئاً أثناء تجهيزك لنفسك؟ إذ سيتأخر عد تناولنا العشاء.»

أجابت: «آه، حسناً... نعم. أريد عصير الفواكه. أعني أنني لست جائعة فقد أكلت ثلاث قطع من الحلوى في السيارة الفيراري. لقد كنت نهمة.»

فقال: «حسناً، دعيني أحضر إليك عصيراً. ماذا تفضلين؟»

أجابت: «أي شيء، دعه يكون مفاجأة لي.»

قال: «سأعود سريعاً.»

جلست اوليفيا على المقعد المنخفض أمام منضدة الزينة، ووضعت الكريم المرطب على وجهها، ثم لفت شعرها بمنشفة. وكان بجانبها على المنضدة باقة من الورود البيضاء، ومجموعة من العطور الغالية.

بعد ذلك بلحظات قليلة عاد كلينت بكوب يحوي شراباً أحمر اللون ناولها إياه وهو يقول بوجه جامد الملامح: «هاكه.»

قالت بأدب: «أشكرك.» تباً لهذا الرجل وشرابه الأحمر هذا. وذاقته بحذر. ولكنه كان لذيذاً وسألته: «ما هذا؟ ماذا يوجد في داخله؟»

أجاب: «إنه من ابتكاري الخاص. انه شراب الورد ممزوجاً بشراب التوت الأحمر.»

قالت: «لقد اشتريت ثوباً أحمر قرمزياً، وله كشاكش كثيرة، وهو يشبه ملابس أعياد الكرنفال.»

سألها بوجه جامد: «أصحيح هذا؟»

حسناً، هل كانت تتوقع منه أن ينفجر غاضباً؟ هذا غير ممكن، فهو أشد انضباطاً من أن يتصرف بهذا الشكل، وتعلقت عيناه بعينيها، فعضت على شفتها تغالب الضحك.

ولوى فمه قائلاً: «إنك لا تحسنين الكذب يا اوليفيا.»

ارتسمت على وجهها ابتسامة عريضة وهي تقول: «حسناً، لقد كنت على وشك شراء هذا الثوب، ولكنني عدت ففكرت في أنه قد يكون مبهرجاً أكثر من اللازم. فهو ليس تقليدياً تماماً.»

سألها: «إذن، فقد اشتريت ثوباً أسود قصيراً؟»

أجابت: «ما كنت لأهوي إلى مثل ذلك الدرك فالبس اللون الأسود. إنه أخضر اللون.» وقفزت واقفة وهي تقول: «دعني أريك إياه.»

رفع يده قائلاً: «إنني أفضل أن أراه على جسمك. سأنتظر لكي تجعليه مفاجأة لي.» واتجه نحو الباب قائلاً: «استمتعي بشرابك.»

وعندما أغلق الباب خلفه، قطبت حاجبيها وهي تتساءل عما جعله يحضر الشراب بنفسه بدلاً من أن يأمر السيدة نيلسون بذلك. وأخيراً هزت كتفيها دون اكتراث. يبدو أنها لن تستطيع فهم هذا الرجل، والأفضل أن توفر على نفسها هذا العناء. ونظرت إلى نفسها في المرآة تخاطب صورتها بقولها، إنك إذن تريدين أن تفهميه.

كلا، لا أريد.

تنفست بعمق، ثم امتصت رشفة من كوبها. ثم أخذت تفتح زجاجات العطور تتنشقها الواحدة إثر الأخرى.

وشعرت بشيء من الثورة. لقد اشترى لها كلينت الثوب والحذاء والجوربين وحقيبة السهرة. وعرض عليها مجوهرات والدته لتستعملها. على الأقل عليها أن تستعمل عطرها، هي، الخاص.

وأخرجت من حقيبتها زجاجة عطرها، ثم أخذت تضع منه خلف أذنيها وعلى معصميها وعنقها.

وبينما كانت تنهي زينة وجهها، وترفع شعرها عالياً على قمة رأسها كانت تتساءل عما قد تكون عليه الحفلة والناس الذين ستلتقي بهم. وشعرت بالذعر لفكرة أن تكون بصحبة أولئك القوم الأثرياء المشهورين ذوي السلطة، كيف ستتمكن من التحدث إليهم؟ ولم يكن لديها فكرة عما تتحدث به الطبقة العالية في نيويورك، هذا عدا عن نطاق السياسة والفنون، والأعمال وكل المواضيع الأخرى التي لم تكن هي تعلم عنها ما يكفي.

وعبست لصورتها في المرآة. ليس لها إلا أن تتدبر أمرها بشكل ما.

ارتدت ثوبها من ناحية رأسها بحذر، فجاء منسجماً على قوامها بشكل رائع. وبدا اللون الأخضر بالغ الجمال، كما أن حليّ ريبيكا تلاءمت معه بشكل مدهش.

وحدّقت في نفسها في المرآة بشعرها المرفوع عالياً وعقد الزمرد حول عنقها وثوبها يلفّ جسدها برقة. لقد بدت رائعة حقاً، ما جعلها تشعر برضى بالغ عن مظهرها. وتنفست بعمق وهي تتمنى لو أن كلينت نفسه يراها رائعة!

فهي المرأة التي سيرونها بجانبه في المجتمع. يا لها من مجازفة يقوم بها... ماذا لو كانت فعلاً اشترت ذلك الثوب المبهرج؟ ليبدو مع امرأة قبيحة الزيّ بجانبه؟ عند ذاك كان عليه أن يتألم طيلة الوقت.

حملت حقيبة يدها وشال ريبيكا المخمليّ الأسود ثم فتحت الباب قاصدة غرفة الجلوس بمشية راقصة الباليه، كما اقترحت عليها ريبيكا وكان هو جالساً مرتدياً بذلة السهرة، يطالع في صحيفة. وعندما رفع عينيه ينظر إليها شعرت بخفقات قلبها تعلو. ووقفت ثابتة رافعة الرأس وهي تقول: «ها أنذا جاهزة.»

الفصل الرابع

ساد الصمت وعينا كلينت القاتمتين تتفحصانها ببطء، ليقول أخيراً بهدوء: «تبدين رائعة الجمال... رائعة تماماً.»

قالت وقلبها يكاد يقفز من موضعه: «شكراً.» وتشبثت بحقيبة يدها وهي تتمنى لو أن بإمكانها الاسترخاء.

وقف قائلاً: «إذن، فأنت جاهزة!»

أومأت برأسها وهي تنظر إليه. كان هو ايضاً يبدو بالغ الروعة. لقد اعجبتها ربطة عنقه وجاكتة العشاء البالغة الأناقة التي يرتديها، واعجبتها الطريقة التي كان ينظر بها إليها.

فتح لها الباب، حيث مرت من أمامه نحو المصعد وهي تتمنى لو تهدأ خفقات قلبها المتلاحقة.

اوصلتهما سيارة الفيراري إلى الفندق الذي تقام فيه الحفلة. وساعدها في النزول من السيارة.

اشير إليهما بالدخول إلى صالة متألقة حيث استلم منها الشال رجل اشيب الشعر يرتدي بذلة سوداء. كما رافقهما شخص آخر إلى غرفة واسعة حيث كان الحضور في ملابس السهرة، يتبادلون الأحاديث بمرح.

أخذت اوليفيا تحدق في كل هذا، وقد أطبقت فمها بشدة تمنعه من أن ينفتح بذهول. تألق المجوهرات، تموج الأثواب الحريرية، الشعور اللامعة. ولم يكن لديها فكرة عن أهمية اولئك الموجودين، إذ لم يسبق لها قط أن قرأت

www.elromancia.com

صفحات المجتمع في الصحف، كما أنها لم تكن تختلط بأوساط الفنانين.

سألها كلينت: «ما رأيك بكوب من الشراب؟»

أجابت: «نعم. أود عصير الأناناس، من فضلك.»

فأشار إلى النادل الذي اقبل مسرعاً ليأخذ أوامر كلينت، وسمعا صوتاً يهتف قائلاً: «مورغان.» وما لبث أن تقدم منهما رجل في بذلة السهرة، وبوسامة ممثل سينمائي، وهو يمد يده قائلاً: «ما أجمل أن أراك.»

قدم كلينت احدهما للآخر بلهجة رجل اعمال. وكان اسم الرجل روجر بيك وقد نظر إلى اوليفيا بافتتان. وابتسم عن صف من الأسنان اللامعة وهو يتأملها قائلاً: «هكذا إذن يا اوليفيا. من أي قصر تراك هربت؟»

وكانت هي منتبهة إلى ملامح كلينت الحذرة وهو يراقب نظرة الرجل إليها. ابتسمت وهي تجيب الرجل بقولها: «إنه أبيض وأحمر ومريح جداً.»

وهنا قال له كلينت ببرود: «نرجو المعذرة من فضلك.» ثم أخذها بعيداً باتجاه النادل الذي كان قادماً نحوهما بالشراب المطلوب، وخلفه كانت آن ترفل في الحرير اللامع. وتأوهت اوليفيا في سرها.

وهتفت آن كابتسامة اعلان عن معجون اسنان: «كلينت. ما أجمل أن أراك. كيف حالك؟»

أجاب ببساطة: «انني بخير، شكراً.» وتحول نحو اوليفيا قائلاً: «هل تذكرين اوليفيا، يا آن؟»

وضاقت العينان الزرقاوان الباردتين قليلاً، وهي تجيب: «نعم، نعم، ولو أنني لم أميزك للتو.»

تساءلت اوليفيا عما يجعل آن تميزها وقد كانت هي في ذلك الحين، ترتدي بنطال جينز مرقعاً وحذاء قديماً.

اغتصبت اوليفيا ابتسامة وهي تقول: «مرحباً يا آن.»

حنت المرأة رأسها لتأخذ رشفة من كوبها، وهي تجيب ببرود: «مرحباً.» وحدقت فيها فترة ببرود الثلج، قبل أن تعود بانتباهها إلى كلينت قائلة: «سمعت انك كنت في باريس أمس. هل رأيت جانيت؟»

وشعرت اوليفيا بتوتر فجائي في يد كلينت، وهو يجيب باختصار: «كلا. هل أبوك ريدج هنا؟»

أشارت آن بيدها قائلة: «انه في مكان ما هناك. أوه، هوذا ستيفانو. لا بد أن أراه.» وابتعدت عنهما بعد أن شملت اوليفيا بنظرة أخرى مثلجة.

واقبل عليهما آخرون لتحية كلينت، وقدمها هو إليهم جميعاً، نساءً ورجالاً، فكانوا يبتسمون لها بأدب، وفي أعينهم تساؤل. وكانت هي تبتسم مادة يدها تصافحهم وهي ترجو أن لا يثقل عليها أحد منهم بالأسئلة المحرجة.

وفجأة، أدركت أنها لم تعد بجانب كلينت، وتملكها الذعر. ولكنها ما لبثت ان تمالكت نفسها. ما الذي يمكن أن يحدث لها؟ ان كل هؤلاء الأشخاص اللامعين ما هم إلا أناس عاديون في ملابس فاخرة.

وقفت بجانب نخلة وضعت في إناء ضخم، ومضت تجيل نظراتها في أنحاء المكان وهي تستمع إلى الأصوات حولها من ضاحكة ومنادية. ولم تهتم لشيء إلى أن سمعت البعض يذكر اسم كلينت، وكان صوتاً انثوياً يخترق سعف النخلة

من الجانب الآخر. وكان الصوت يقول: «هل رأيت المرأة الجديدة التي معه؟ لا أحد يعرف من هي، أليس هذا غريباً؟ لقد سألت كل من قابلت، والكل قال إنه لم يرها من قبل. حتى انني سألت جوزفين، فإذا هي لا تعرف فمن الذي يعرف إذن؟»

وقال صوت انثوي آخر: «سيأتي مخبر بالحقيقة، وستكون في الصحف غداً صباحاً.»

فردت الأولى: «ربما هي ابنة أحد اعضاء مجلس الشيوخ.»

«ولكن لا بد أن يعرفها أحد، في هذه الحالة.»

«هذا صحيح.»

«ماذا تظنين؟ أهو حب صادق؟»

«لا يمكن هذا. فهي تلاحقه لأجل ثروته. كالبقية منا.» واسكتهن الضحك فترة، ليعود الحديث المتبادل: «بالمناسبة، ما الذي حدث لجانيت؟»

«إنها في أوروبا.»

«ما اسمها؟ اعني غزوة كلينت الجديدة، اوليفيا ماذا؟»

«بل. اوليفيا بل.»

«انني أكره أن أقول هذا، وهو أنها تبدو رائعة. انها تمشي وكأنها ملكة. وثوبها ذاك في منتهى الجمال.»

«ربما هو قد هجر جانيت؟»

«من يعلم؟ ربما هي التي تركته.»

«تبدين ضائعة نوعاً ما.» ونظرت إلى مصدر الصوت، لترى رجلاً ملتحياً ذا عينين زرقاوين حادتين مصوبتين نحوها، وهو يتابع قائلاً: «أم لعلك مختبئة من تلك الجموع

التي تعمي العيون؟» وابتسم لها وهو يمر بيده على لحيته الشقراء التي كانت تماثل شعره في اللون.

اغتصبت ابتسامة وهي تجيبه قائلة: «بل هي تشرق وتتلألأ في الأنحاء. أما أنا فلم أكن مختبئة، وإنما كنت، فقط، أرقب الآخرين.»

فأومأ برأسه قائلاً: «ان هذه طريقة ممتعة لتمضية الوقت.» ومد يده بالتحية قائلاً: «انني فرانك توبس.»

قالت: «انني اوليفيا بل.»

سألها: «وأنت بصحبة كلينت مورغان. أليس كذلك؟»

أجابت: «نعم. كنت في الحقيقة، أبحث عنه.»

أشار بيده قائلاً: «إنه هناك يناقش قضية تدور حول مليار دولار مع ستاربيرد، وهو لن يتذكرك قبل عدة دقائق.»

نظرت إلى حيث أشار. ورأت كلينت مديراً ظهره العريض نحوها، وكان يتحدث إلى رجلين آخرين في ملابس السهرة، ولم تعرف أيهما ستاربيرد رغم أن فرانك توبس ظن أنها تعرف. وربما كل شخص هنا يعرف.

سألها فرانك وعيناه على كلينت ورفيقيه: «هل تظنين أنه سينجح في ذلك؟»

ينجح في ماذا؟ من المفروض أنها تعلم ذلك. وأجابته قائلة: «ليس لنا إلا أن ننتظر ونرى.»

قال: «ان ستاربيرد ماكر خداع.»

قالت: «هذا ما اسمعه.»

قال: «العمل هو العمل، على الدوام. وصنع المال هو كالإدمان كما تعلمين. ولهذا لا يكتفي المرء منه ابداً.» ونظر إليها بدهاء.

ابتسمت قائلة: «وهل أنت مدمن، كذلك، على صنع المال؟»

ضحك وهو يجيب: «انك امرأة صريحة، أليس كذلك؟»

أجابت: «إن الصراحة تبسط الأمور وتمنع سوء الفهم.»

أومأ برأسه قائلاً: «هذا صحيح. أما جواب سؤالك، فهو كلا. انني لست مدمناً على صنع المال. اخبريني انت عن نفسك، هل أنت من أهالي نيويورك، أم انك اجنبية؟»

أجابت: «لا هذا ولا ذاك. انني أعيش في دالاس، وأنت؟»

أجاب: «آه، انني مستورد. فأنا من كولورادو. ولكنني اعيش هنا منذ عشر سنوات. إذن، ما الذي تفعلينه يا اوليفيا في دالاس. هل تزرعين التبغ، أم الفول السوداني؟»

أجابت: «بل الطماطم أزرعه في حديقتي الخلفية.»

قال ضاحكاً: «هل هي مهنتك التي تعيشين منها؟»

أجابت: «كلا بل لأجل الطعام، فأنا معلمة ابتدائية.»

قال: «أصحيح هذا؟ إنه شيء مهم.»

كان الحديث معه عفوياً سهلاً. كان يكتب عن التغذية، كما قال، ويكتب للصحف والمجلات مقالات حرة. وبعد دقائق، استأذنت اوليفيا منه لكي تلتحق بكلينت الذي كان مايزال يتحدث مع ذينك الرجلين في الناحية الأخرى من الغرفة.

ولم تسر طويلاً، إذ أن امرأة اوقفتها، آخذة بذراعها بشيء من العنف، وهي تسألها قائلة: «من تكونين؟»

فوجئت اوليفيا وأخذت تحدق فيها. كانتا قد سبق وتقابلتا منذ فترة. ولكن اوليفيا لم تستطع أن تتذكر اسمها. وكانت المرأة تحملق فيها وهي تكاد تفقد اتزانها فوق كعبيها العاليين.

أجابتها اوليفيا: «انني اوليفيا بل.»

فقالت المرأة: «نعم، أعرف هذا. ولكن من أنت؟ وما هي علاقتك بكلينت؟»

وكانت بجانبها صديقة لهاترتدي ثوباً أسود من القطيفة، فأمسكتها بذراعها تقول لها بوجه عابس: «كفى يا لارا. لقد اصبح سلوكك بغيضاً.» ونظرت إلى اوليفيا تقول معتذرة: «انها تقوم بحمية غذائية، وهذا ما جعلها غريبة الأطوار.»

قالت المرأة بعصبية: «ولكنني أريد أن اعرف من هي بالضبط.»

ابتسمت اوليفيا وقالت: «في الحقيقة، انا نفسي لا اعرف. فكل شيء يخصني هو صفحة بيضاء منذ حادثة الاصطدام.»

حملقت المرأتان فيها، بينما تابعت اوليفيا تقول: «انني مصابة بفقدان الذاكرة. كل ما أذكره هو انني استيقظت ذات صباح ومعي كلينت شاعرة بصداع يكاد يحطم رأسي.» وتنهدت وهي تتابع: «لم استطع ان اتذكر كيف وصلت إلى ذلك المكان... ومن هو... ومن أنا...؟»

وكادت عينا المرأة السحلية تخرجان من محجريهما ابتسمت اوليفيا وهي تقول: «والآن، أرجو المعذرة.» واستدارت خارجة من الغرفة.

وجاءها صوت كلينت قائلاً: «ما الذي تفعلينه هنا؟»

استدارت تواجهه قائلة: «انني اشعر هنا بطمأنينة اكثر. إذ لا يبدو أن كل شخص قد سرته رؤيتي معك. فمنذ اللحظة التي ذهبت فيها، تاركاً إياي وشأني، اقبلوا إليّ.» وازدردت ريقها وقد بدا عليها الغضب.

قطب جبينه وهو يسألها: «اقبلوا عليك؟ وما الذي قالوه لك؟»

أجابت: «أمسكتني واحدة بذراعي تريد أن تعرف من أكون. وسمعت نساء اخريات يقلن انني ساعية وراء المال. لا أعتقد ان عقد العمل بيننا ينص على ان اتقبل الاهانات من الناس.» وتنفست بعمق وهي تتابع قائلة: «فإذا كان هذا جزءاً لا يتجزأ من العقد، فدعني اخبرك، انك قمت بصفقة غير رابحة.»

وتركته مبتعدة عنه سائرة في الطريق المعاكس. وتبعها كلينت ليقف بجانبها عند النافذة الواسعة المشرفة على المدينة وهو يقول معتذراً: «انني آسف، ظننتك ستكونين على مايرام.»

أجابت: «وهذا لم يتحقق. يبدو أنك ظننت أن كل ما عليك أن تقوم به، هو أن تهيء لي الملابس لكي اكون على مايرام، ولكن الأمر، لسوء الحظ، لا يتحقق بهذا الشكل.»

تشبثت بحقيبة يدها وكأنها تستمد منها العون، وهي تتابع: «هذا النوع من الأشياء لا يسري عليّ، فأنا لا اعرف احداً من الحاضرين هنا، ولا اعرف ما يتحدثون به ولا عمن يتحدثون. فأنا لست في مكاني الطبيعي، و...» واهتز صوتها. فعضت شفتها، ثم تابعت قائلة، محاولة ان تضمن صوتها شيئاً من الكبرياء: «هذا أمر صعب وعليك ان تساعدني قليلاً في البداية على الأقل. وهذا لا يأخذ وقتاً طويلاً، فأنا سريعة التعلم. لا تلقني في البحر قبل ان تعلمني مبادىء السباحة.»

قال: «لا بأس، فلن اتركك مرة اخرى، إذ أنه لم يخطر

ببالي أن هذا قد يكون مشكلة. ولكننا سنصلح الأمر بسهولة. هيا بنا الآن، فقد حان وقت العشاء.»

عادا إلى غرفة الجلوس ومنها إلى غرفة الطعام الملحقة بها وذلك مع بقية الحضور.

جلسا على مائدة مستديرة واسعة، وحصل المزيد من التعارف. كانت اوليفيا منتبهة إلى العيون الفضولية التي كانت ترمقها، وإلى عناية كلينت بها. كان يتكلم معها بشكل خاص ويبتسم لها، ويلحظها برعايته.

استمرت تفكر في آن وفي المرأة التي طلبت التعرف عليها. ولم يكن عجيباً أن يكون في هذه الغرفة، نسوة، يأملن في نيل اهتمام كلينت، ولكن مواجهة هذا الأمر يستلزم ذكاء وبديهة حاضرة.

كان الطعام لذيذاً، واستطاعت ان تجلس إلى المائدة، لتبتسم كثيراً وتتحدث قليلاً، إذ بدا أن هذه هي اسلم الطرق للتقرب إلى الآخرين.

على كل حال، فقد شعرت بالارتياح وهي ترى نفسها في سيارة الفيراري مرة أخرى.

سألها كلينت: «بماذا أجبت تلك المرأة التي كانت سألتك عمن تكونين؟»

أجابت: «لقد قلت لها شيئاً ربما كان من الخطأ أن اقوله. كان نوعاً من التخلص من الجواب.» وشعرت بحرارة تصعد إلى وجنتيها.

رفع حاجبه يسألها: «وماذا كان قولك ذاك؟»

فلوت أساريرها قائلة: «ان ما سأقوله لن يعجبك. فقد قلت لها انني لا اعرف أنا نفسي، حقيقة أمري، لأنني أعاني من

فقدان الذاكرة، إذ انني ذات صباح... انني استيقظت ذات صباح لأجد نفسي... معك. وانني لم استطع ان اتذكر من أنا، أو من أين أتيت.»

وساد صمت. ولم تجرؤ على النظر إليه، ليدهشها بعد ذلك، أن تسمعه يضحك قائلاً: «ومع هذا تقولين انك قلقة بشأن التعامل مع هؤلاء الناس؟ ستكونين على ما يرام، بل ستكونين رائعة.»

انزلتهما السيارة امام البناية، ووقفا معاً في المصعد. شعرت اوليفيا بعدم الارتياح بالنسبة للآتي، وبالخشية تزحف إلى نفسها. إنها هنا مع هذا الرجل. هذا الغريب، لتصعد معه إلى بيته.

وقالت بهدوء، تغطي بذلك شعورها بالتوتر: «ان الليل لم ينتصف بعد، وبإمكاني أن اغير ملابسي في خمس دقائق، ومن ثم يأخذني آلان إلى منزلي، ليس لدي مانع في هذا.»

فقال لها مطمئناً: «ليس هناك ما يستوجب قلقك، يا اوليفيا.»

قالت: «انا لم أقل انني قلقة.»

قال وهو يلوي فمه: «لا. ولكنك قلقة حقاً.»

توقف المصعد، وبعد لحظات كانا قد عادا إلى الشقة. وانفتح الباب المزدوج أمامهما. لينغلق خلفهما. عند ذلك، شعرت وكأنها قد أصبحت في السجن وقد عزلت عن العالم الخارجي.

خاطبت نفسها بأن عليها أن لا تكون معتوهة. ورفعت بصرها إلى كلينت قائلة: «أرجو أن لا أكون قد خيبت أملك. وأخشى انني لم اكن لأستحق ان انخرط في الحديث مع أحد، إذ انني لم اكن اعرف معظم ما كان الآخرون يتحدثون عنه.»

أجاب: «انهم هم ايضاً، لم يكونوا يدركون ما يتحدثون به، غالباً، أما أنت فقد كنت ممتازة.»

سألها قائلاً: «هل تحبين أن تتناولي شيئاً من العصير قبل أن نذهب إلى... النوم؟»

أجابت: «هل تمانع إذا أنا لم أشأ ذلك؟ انني متعبة وأظن أن عليّ أن أذهب لأتهالك على السرير.»

نظر في وجهها متفحصاً وهو يقول: «كلا. ليس لديّ مانع. هل كانت الحفلة تلك محنة قاسية لك؟»

أجابت: «ولكنني تعلمت فيها الكثير، في الواقع.»

لوى فمه قائلاً: «ان ما يسرني هو انك لم تضيعي وقتك. ليلة سعيدة.»

وتمنت له هي أيضاً ليلة سعيدة، ثم تركته واتجهت إلى غرفتها، وأغلقت الباب خلفها. وكادت تقذف بحذائها بعيداً، كعادتها، ولكنها عادت فغيرت رأيها. ذلك أن حذاءً ايطالياً مصنوعاً باليد يستحق معاملة أفضل. وهكذا أمسكت بالحذاء بحذر، ووضعته بعناية في الخزانة، وبعد ذلك، تهالكت على الفراش وهي تتأوه بعمق، مخاطبة السقف فوقها: «ها قد تم إنجاز أول مأمورية من المهمة.»

رقدت اوليفيا كالميتة، ولم تستيقظ قبل الساعة التاسعة من صباح اليوم التالي. فاغتسلت بسرعة، وارتدت بنطالاً أسود وجاكتة صوفية حمراء، ومن ثم تركت الغرفة. وطرقت سمعها ضجة خفيفة آتية من ناحية الردهة. وكانت غرفة الجلوس فارغة. وبعد البحث، وجدت المطبخ والسيدة نيلسون.

رفعت المرأة بصرها بدهشة وهي تقول: «صباح الخير. لم اسمعك. هل نمت جيداً؟»

أجابت: «نعم. شكراً.»

ابتدأت السيدة نيلسون العمل، فسكبت القهوة، وأخذت تسخن بعض الكعك. تناولت اوليفيا فطورها في المطبخ بدلاً من غرفة الطعام حسب اقتراح السيدة نيلسون.

وسألتها اوليفيا: «أين السيد مورغان؟»

أجابت: «لقد خرج هذا الصباح باكراً، إذ أنه سيمضي هذا النهار في واشنطن. وقد ترك لك هذا.» وناولتها المرأة مغلفاً مقفلاً.

وضعته اوليفيا جانباً وهي تقول: «شكراً.»

عادت بعد الافطار إلى غرفتها لتأخذ حاجياتها. وفتحت المغلف ثم اخرجت منه ورقة. وكانت هذه عبارة عن قائمة تحتوي على مناسبات شهر كانون الأول، (ديسمبر)، المزيد من الحفلات الخيرية، افتتاح معارض، حفلات عشاء، واحتفال في السفارة الأرجنتينية، حفلة استقبال ديبلوماسيين يابانيين. وطالعت القائمة ومخاوفها تزداد، إذ بعد كل مناسبة كان ثمة وصف قصير، وما يلزمها من ملابس. وفي أعلى القائمة، كانت ملحوظة مستعجلة تقول انها ستتلقى قريباً دفتر حساب في المصرف.

واتصلت بها سيليا بعد الظهر، وقد أمسك الفضول أنفاسها وهي تسألها: «اخبريني بكل شيء. أتمنى لو أمكنني القدوم إليك. ولكن اليوم هو ذكرى مولد جدتي وستجتمع الأسرة كلها في منزل والدي لتناول العشاء، وأنا اساعد في التحضير لكل ذلك.»

اخبرتها اوليفيا بكل شيء، مسهبة قليلاً في حادثة

اعتراض المرأة الشبيهة بالسحلية تلك. وعندما انتهى الحديث، كانت الاثنتان غارقتين في الضحك.

ومر نهار الاثنين كأي يوم آخر، مليئاً بالأطفال والتعليم، ورعاية مسؤوليتها نحو مؤسسة ميرسي. كانت اوليفيا أحياناً، تتساءل عما إذا كانت ليلة السبت لم تكن سوى تصورات من مخيلتها بالغة النشاط. ولكن قائمة كلينت التي تحوي المناسبات المتوجب عليها حضورها، كانت ملصقة على باب ثلاجتها تعيد إلى ذاكرتها كل شيء. وكانت تعد العشاء، عندما اتصل بها كلينت ليقول لها: «انني في المطار. هل يمكنني زيارتك للحظة؟»

أجابت: «نعم، بالطبع.»

قال: «سأكون عندك حالاً.»

وضعت الهاتف من يدها وهي ترتجف. وكانت خفقات قلبها تتسارع. ماهذا الجنون؟ ماذا جرى لها؟ وركضت إلى الحمام تنظر إلى نفسها في المرآة. كانت عيناها تتألقان بشكل غريب، بينما كان شعرها فوضوي الشكل فسرّحته ووضعت شيئاً من أحمر الشفاه، ثم ألقت نظرة على ثيابها. كانت ترتدي تنورة عادية وسترة صوفية ملونة وجوربين يماثلانها لوناً. كانت هذه شخصيتها الحقيقية، وهي تكفي.

وعادت إلى المطبخ تفرم البقدونس وتضيفه إلى الحساء. وبعد ذلك بربع ساعة، وقفت سيارة الفيراري أمام بيتها. ومن نافذة غرفة الجلوس، أخذت تراقب آلان وهو يفتح باب السيارة ليخرج منه كلينت تغمره اضواء السيارة الصفراء، فألزمت نفسها بالهدوء وهي تذهب إلى الباب تفتحه.

حيته، فابتسم لها يرد التحية وهو يسألها قائلاً: «هل هذا الوقت غير مناسب لك؟»

أجابت: «كلا، فقد كنت فقط اعد شيئاً من الحساء.»

قال وهو يدخل الغرفة: «أرجو أن لا يكون حساء معلباً.»

أجابت: «آه. كلا. مجرد حساء مصنوع من الجذور مثل البطاطا والجزر والبصل واللفت وغير هذا، وليس هناك وصفة معينة لطهوها، فهي تطهى بمرق الدجاج، ويضاف إليها الكرفس والبقدونس، وكذلك الحليب ثم الملح والفلفل طبعاً.»

قال: «هل طعمه لذيذ؟»

اجابته: «لماذا لا تجربه؟ اعتقد انه سيعجبك. عن إذنك، سأجهز المائدة.»

استدارت لتذهب إلى المطبخ فأوقفها قائلاً: «انتظري لحظة.» واخرج شيئاً من جيب جاكتته الداخلي، ناولها إياه وهو يقول: «هذا يسهل عليك رحلة التسوق.»

كانت هذه بطاقة حساب في المصرف، ذهبية لامعة. حتى هذه القطعة من البلاستيك بدت غالية الثمن.

قالت: «أووه... يمكنني ان اشتري بهذا مجوهرات أو سيارة فاخرة لنفسي.»

قال بجفاء: «لا أظنك من هذا النوع من النساء، يبدو لي أن ما يهمك اكثر، هو إيواء الناس ووضع الطعام على موائدهم.»

هزت كتفيها قائلة: «حسناً، لا بد لمن لا تملك بطاقة كهذه، من أن تقوم بما يشغل وقتها.»

قال: «أخبرتني باميلا بأنها ستساعدك على شراء ثيابك.»

قالت: «أجل. فأنا يجب ان اهتم بشكلي لأودي الدور المطلوب.»

قال: «ولمَ لا؟»

قالت: «دعني أضع الحساء على المائدة. تفضل بالجلوس.»

وعندما جهزت المائدة بالأطباق والخبز، قالت له: «تفضل. الطعام جاهز.»

تناول طعامه بشهية تامة. وقال بعد فترة: «انه لذيذ جداً. من علمك الطبخ؟»

أجابت: «هذا الحساء من ابتكاري الخاص.»

قال: «حدثيني عن نشأتك يا اوليفيا.»

أجابت: «لقد رباني جداي في هذا المنزل. لم يكن لدينا الكثير من المال، ولكن لم يكن يبدو أننا كنا في حاجة إلى شيء. فقد كان لدينا كل شيء. كان لدى جدتي حديقة كبيرة كانت تخزن منها الطعام لفصل الشتاء، بينما كان جدي يصيد الغزلان. وقد ذهبت معه مرة إلى الصيد، ولكنني لم استطع اطلاق النار. إذ انني قابلت غزالاً وجهاً لوجه، فنظر إليّ بتلك العينين البنيتين الواسعتين ما جعلني عاجزة عن قتله. ولم أذهب معه قط بعد ذلك. وفضلت الالتصاق بالطبخ والحياكة وتعلم الباليه.» وتابعت ضاحكة: «اشياء نسائية، ولكنني أحببت ذلك.»

سألها: «ولماذا كان على جديك أن يربياك؟ كلا، لا تجيبي على سؤالي هذا الذي تعوزه اللباقة.»

ضحكت قائلة: «ليس لدي مانع من الجواب. لقد غرق والديّ في حادث مركب حين كنت أنا في الشهر الرابع

من عمري. اعرف أن هذا شيء رهيب، وكان كذلك حقاً، ولكنني لا اتذكرهما مطلقاً. وكان لي أسرة هما جداي اللذان ربياني كوالديّ تماماً بالمحبة والعزم. وكان داون كأخ لي، رغم أنه عمي. فهو لا يكبرني بأكثر من اثنتي عشرة سنة. وكانت طفولتي طبيعية تماماً وفي منتهى السعادة.»

وضعت في طبقها مزيداً من الحساء، وهي تسأله قائلة: «وماذا بالنسبة إلى أبويك؟»

أجاب: «تطلقا عندما كنت في الثامنة، ان أمي تعيش في هاواي بينما توفي والدي بأزمة قلبية منذ ست سنوات. وليس لي أخوة ولا أخوات.» وكان يعدد هذه الوقائع وكأنها معلومات يدونها في اوراق رسمية دون أن يبدو على وجهه أي تعبير.

وعندما انتهى الطعام، وقف كلينت يريد الذهاب وهو يقول بينما يده على مقبض الباب: «شكراً. لقد استمتعت بالطعام.»

استندت إلى الجدار وهي تقول: «وكذلك أنا.» وشعرت به يتباطأ عن الخروج رغم أن يده كانت على مقبض الباب، لم يتحرك، وشحن الصمت، الجو حولهما بالتوتر. واخترقت عيناه القاتمتان عينيها، ما جعل خفقات قلبها تضطرب. لماذا ينظر إليها بهذا الشكل؟ ما الذي يفكر فيه ولا يفصح عنه بالكلام؟ وحاولت أن تنطق بشيء يبدد الصمت. أي شيء يحمله على الابتسام ولكن ذهنها توقف عن التفكير، ولم تجد كلمة تقولها.

الفصل الخامس

مرّ الأسبوع حافلاً بالعمل الذي يدير الرؤوس. التعليم... التسوق لشراء الثياب، حضور حفلة عشاء مع كلينت يوم الجمعة.

وكانت اوليفيا قد شرحت الوضع لسيليا وباميلا بعد أن أقسمتا على الاحتفاظ بسرية الموضوع. وقالت باميلا إنه يسرها جداً أن تساعد اوليفيا على ملء خزانة ثيابها، فقد كان شراء الثياب في الواقع هو هوايتها المفضلة.

وقد عرضت الاثنتان، باميلا وسيليا، على اوليفيا أن تستلما عنها مسؤولياتها في مؤسسة ميرسي إلى الحد الذي يريحها.

قالت سيليا بصوت يبدو فيه الألم: «إن كل هذا في سبيل المصلحة. فمثّلي أنت دور الأميرة وسنقوم نحن بالعمل.»

كانت تتحدث باميلا أثناء طوافهما في الأسواق تبتاعان الثياب فقالت لها: «لا أظن أن كلينت يثق بالكثير من الناس. حين تعلمين أن كل شخص يريد منك شيئاً، يصبح الأمر صعباً حقاً... معلومات نفوذ، تأييد، مال، تعامل. وأظنه لم يتزوج لهذا السبب. وربما لم تكن خبرته بالنساء إيجابية تماماً ولكن هذه مجرد تكهنات مني. أوه، انظري إلى هذا اللون، أليس جميلاً؟» ومدت يدها إلى ثوب بني اللون يضرب إلى الاحمرار كانت البائعة تعرضه عليهما.

قالت اوليفيا: «إنه كذلك، إنما كُمّيْه لا يعجباني كثيراً.»

قالت: «جربيه، فقد تدهشين للنتيجة.»

أخذت اوليفيا الثوب إلى غرفة تغيير الملابس، وكانتا قد سبق واختارتا ثلاثة أثواب قبله.

جلست باميلا على كرسي منخفض واضعة ساقاً على ساق. وهي تقول: «كان كلينت عندما كنا أطفالاً بالغ المرح، وكان لديهم فيلا في إيف باركو، واعتدنا أن نذهب إلى هناك في الإجازات. وكنا نمضي أوقاتاً رائعة نذهب فيها للسباحة والغوص والتجذيف، ولم يكن هو رزيناً كشأنه الآن. وأظن أن طلاق والديه ترك فيه أثراً عميقاً. وكنت أنا أحب عمي، ولكن والدة كلينت كانت امرأة خبيثة. إنما لا تقولي له ما أقوله هذا. أتريدين أن أساعدك في إقفال السحّاب؟»

قالت اوليفيا: «نعم من فضلك.»

نهضت باميلا وساعدتها على إقفال سحّاب الثوب بحذر، وهي تتابع قائلة: «هنالك دار للأيتام في إيف باركو وقد أقبل بعض الأطفال من الميتم لتلقي العلاج الطبي، وهم في حالة مزرية. وكان لبعض أصدقاء كلينت علاقة بذلك الميتم، وهكذا أنفق كلينت مبالغ باهظة ثمن فواتير العلاج.»

وتقدمت أمام اوليفيا وهي تقول ضاحكة: «هنالك قلب حنون وراء ذلك المظهر الجامد. وهذا محيّر أليس كذلك؟»

رجعت إلى الخلف وهي تتأمل اوليفيا بعين ناقدة وتتابع: «هذا بديع حقاً. وذلك اللون هو غير عادي.»

وهكذا من ملاحظات باميلا العفوية التي كانت تلقي بها بين اختيار الملابس، وتناول فنجان سريع من القهوة تكونت صورة في ذهن اوليفيا عن كلينت وشركته

الموروثة عن والده والذي جعل من عمله حياته، يطوف القارات ويملك فيلا في جنوب فرنسا وشقة في هونغ كونغ، وشقة أخرى في لندن وفي باريس. وعدا نشاطاته العملية، لا يبدو أن ثمة شيئاً آخر يملأ حياته. حتى النساء لم يبد انهن شغلن في نفسه فراغاً كبيراً، بل كنّ دوماً على الهامش في حياته.

عصر يوم السبت، كانت اوليفيا عائدة إلى بيتها من جولة شرائية حافلة، رأت أمام بيتها سيارة غريبة. وعندما اقتربت فتح بابها وخرج منها رجل.

وتذكرت وجهه، إنه ذو اللحية الشقراء والذي سبق وتحدثت إليه في الحفلة منذ مدة، وأخذت تفتش في ذاكرتها عن اسمه.

قال: «إنني فرانك توبس. هل تذكرين؟»

فابتسمت تجيبه: «آه، نعم. إنني أذكر. كيف عرفت عنوان بيتي؟» ولم تكن قد ذكرت له في ذلك الحين، مكان سكنها، وإنما فقط مدينة صغيرة في دالاس.

ضحك قائلاً: «لم يكن هذا صعباً فأنت معلمة ابتدائية. وهذا يكفي كبداية بالنسبة إلى رجل لديه بعض الارتباطات.»

سألته بمرح: «إذن، ما الذي جعلني أحظى بهذا الشرف؟»

هز كتفيه قائلاً: «كنت قريباً من هنا، ففكرت في أن أمرّ عليك، آملاً أن لا أجد عندك مانعاً من قبول دعوتي للعشاء.»

أجابت: «إنني في الواقع، مشغولة. فأنا ذاهبة إلى المدينة هذا المساء. ولكنني أشكرك لدعوتك هذه.»

قال: «مع مورغان؟»

أجابت: «نعم.» ووضعت مفتاحها في الباب وهي تتابع قائلة: «أرجو المعذرة. لقد تأخرت.»

قال: «لا بأس، إلى اللقاء يا اوليفيا.» وعاد إلى سيارته، ثم ابتعد بعد أن لوّح لها بيده.

وتملكتها الدهشة إذ رأته مرة أخرى ذلك المساء وكان يتحدث إلى أحدهم، فابتسم لها ملوّحاً بيده، ولكنه لم يقترب منها طيلة المساء. هل كان وجوده في نفس المكان مجرد صدفة؟ ونبذت هذا الخاطر من ذهنها، وعادت تركز اهتمامها على الأحاديث حولها.

كان الحديث يدور عن المستقبل، وعن الاقتصاد والسياسة.

سألها أحد الحاضرين بأدب: «ما هو رأيك يا اوليفيا؟»

قالت بشجاعة: «أعتقد أن كثيراً من الخطط الاستراتيجية الموضوعة هي قصيرة النظر.» وكانت قد قرأت هذه الجملة في الصحيفة هذا الصباح، وتابعت تقول: «يجب أن نتصرّف تبعاً لهدف طويل الأمد، ولكننا نحن الأميركيون، لا نحسن تأجيل تعطشنا ولهفتنا إلى النتائج. فنحن جميعاً نعشق تناول وجبات طعام سريعة الإعداد، أليس كذلك؟» وابتسمت مرة أخرى.

وقالت امرأة بدينة ترتدي ثوباً ارجوانياً: «إنني أعشق التفاح بنكهة القرفة.»

وازدردت اوليفيا ريقها وهي تحاول أن تسعل لتخفي بذلك رغبة في الضحك. ثم أخذت تسعل مرة أخرى. وجرّها كلينت بعيداً قائلاً: «دعينا نحضر لك ماء.» واعتذر من الآخرين وهو يبتعد بها.

قالت وهي تتنفس بعمق: «إنني لست بحاجة إلى ماء.»

قال وفي عينيه نظرة هزل: «أعلم ذلك، ولكنني كنت بحاجة إلى عذر لكي أبتعد بك عن مجموعة المثقفين تلك.»

وعندما خرجا، بعد ذلك بساعة تقريبا، كانت اوليفيا قد ابتدأت تفكر في أن عليها أن لا تريح وجهها مرة أخرى. وأن عليها أن تحتمل ابتسامته الماكرة.

وبعد بقائها واقفة على قدميها لعدة ساعات، شعرت بالسرور إذ تجلس وهي تقول: «أوه، كلا. إنني أحب مراقبة الناس. إنني أتساءل ما هي حقيقتهم وبماذا يفكرون.»

سألها قائلاً: «بماذا تظنينهم يفكرون؟»

أجابت: «حسناً، أكثرهم ليسوا هنا للاستمتاع، وهذا واضح رغم أنهم جميعاً يدّعون بأنهم يمضون وقتاً رائعاً. يبدو لي أنهم خرجوا جميعاً لاصطياد شيء ما. وكل منهم يقيس الآخر بنظراته ليرى إن كان يفيده في أمر ما. أعتقد أن الناس لا يحب الواحد منهم الآخر لشخصيته، وإنما لما يمكن أن يناله منه. هذه هي الحالة المؤسفة لكل شيء إذا أردت رأيي.»

قال: «إنها الطريقة التي تحدث فيها اللعبة.»

قالت: «لعبة؟ هل هي كذلك؟»

قال: «طبعاً، إنها لعبة الحياة. هنا على الأقل.»

قالت: «المال والسلطة. أنظر إلى كل ذلك الثراء، كل تلك الأموال... إنها... مدمّرة، قاهرة. عصر هذا اليوم قبل أن يأتي سائقك آلان لأخذي كنت أضع نوعين من الطعام معاً لإرسالها، والآن أنا هنا آكل سمك السلمون المدخن. إن هذا يجعلني أشعر بانفصام الشخصية.»

ابتسم قائلاً: «ستعتادين على هذا.»

وصلا إلى المنزل، ثم استقلا المصعد. وشعرت اوليفيا مرة أخرى بذلك التوتر الغريب يسري بينهما. ولاحظت كيف أصبح حديثه إليها رسمياً متكلفاً، وكأنما التقارب الشديد بينهما في تلك المساحة الضيقة، يصيبه بالتوتر.

وعندما أصبحا في شقته، تمنى لها ليلة سعيدة، صعدت اوليفيا بعدها إلى غرفتها الجميلة، ثم ذهبت إلى سريرها.

ومرة أخرى أخذت تحلم به، كما تحلم به على الدوام.

وذات يوم قالت لها سيليا: «اوليفيا، إنك واقعة في غرامه.» وكانت مرت عليها، بعد انتهاء عملها في المستشفى، لتتناول فنجان من القهوة معها وتابعت تقول: «إن هذا شيء خطير بالنسبة إليك. ألا تدركين ذلك؟»

أجابت اوليفيا وهي تذوب السكر في فنجانها بشيء من العنف: «لا تكوني سخيفة.»

قالت سيليا: «ولكنك لا تفعلين شيئاً سوى التحدث عنه.»

هزت اوليفيا كتفيها قائلة: «ولماذا لا أفعل ذلك إزاء كل هذه الأشياء المثيرة... كل تلك الأثواب والناس الذين أقابلهم والحفلات والطعام. إن هذا غير حقيقي، فمن الطبيعي أن أتحدث عن كل هذا طيلة الوقت.» ونهضت عن المائدة ومضت تحضر الأخشاب للمدفأة وهي تقول: «إن المكان هنا بارد. أليس كذلك؟»

تنهدت سيليا وهي تجيب: «كلا، إنه ليس كذلك وإنما أنت تغيرين الموضوع فقط. إنك تعلمين يا اوليفيا، انني أقول الحقيقة. فهو في عينيك وفي صوتك، وفي كل شيء تقولينه.»

عادت اوليفيا تجلس وهي تقول: «بإمكانك ألاّ تصدقيني يا سيليا، ولكنه لطيف وأنا معجبة به. إنه رجل يثير الفضول.»

قالت سيليا: «وهو وسيم وغني وأنا أوافقك على ذلك، ولكنه رجل أعمال وبالتالي متغطرس قاس القلب، وعنيف. إنه يستغلك يا اوليفيا.»

أجابت: «هذا ليس صحيحاً. إن بيننا عقداً.»

قالت سيليا: «لا بأس. إن ثمة عقداً بينكما وأنت واقعة في غرامه. وهذه وصفة جيدة لكارثة يا اوليفيا. إنك ستتألمين من ذلك.»

لم تجب اوليفيا إذ لم يكن ثمة فائدة من إنكار مشاعرها، ذلك أن سيليا تعرفها جيداً.

عادت سيليا تقول بإصرار: «ماذا ستكون نهاية هذا الأمر يا اوليفيا؟»

عضت اوليفيا شفتها، ثم أجابت: «لا شيء كما أرى.»

كان من الحماقة أن تقع في غرامه. فهذا لن يفيدها بشيء. وستتألم كثيراً كما قالت سيليا.

وأخذت رشفة من قهوتها وهي تنظر إلى سيليا قائلة: «أظنني سأتغلب على ذلك.»

وأنهت حياكة كنزة داون تلك الليلة، فكانت رائعة، تنافس بسهولة تلك السترة الغالية الثمن والمحاكة باليد التي سبق ورأتها في أحد المتاجر، وكان تصميمها الإيطالي بالغ الجمال كما أن مزيج ألوانها كان متلائماً تماماً. وأمسكت بها تنظر إليها بإعجاب... وخطرت لها فكرة.

لا بد أن هذه ستبدو رائعة على كلينت.

إذا هي ابتدأت الآن بالحياكة، واجتهدت حقاً بالإسراع بها ربما أمكنها إنهاء كنزة تجعلها هدية العيد لكلينت.

نعم، ستقدمها إليه يوم العيد.

طوت كنزة داون ثم وضعتها بعناية في صندوق مبطن بورق أحمر. بإمكانها أن تحيك كنزة لكلينت أولاً ثم تقرر بعد ذلك، ما إذا كان من المناسب تقديمها له أم لا. فإذا قررت عدم تقديمها فالتخلص منها ليس صعباً. فهناك كثيرون يطلبون منها، دائماً حياكة كنزات لهم. وهناك صاحب متجر اعتاد دوماً على أن يطلب منها حياكة كنزات يبيعها في متجره. ولكن الوقت كان يعوزها على الدوام، ذلك أن ما كانت تفضله على حياكة الكنزات، هو تعليم أولاد في السادسة من عمرهم.

وفي عصر اليوم التالي، كانت اوليفيا قد عادت لتوها إلى البيت، عندما اتصلت بها ريبيكا وكانت لهجتها غريبة جعلت شعوراً من الحذر يساور اوليفيا فجأة.

سألت بسرعة: «ما الذي حدث يا ريبيكا؟»

أجابت هذه: «لقد ذهبت المربية سميث منذ أيام قليلة لتكون مع ابنتها في ميتشيغن التي أنجبت حديثاً وفي اليوم التالي أصيبت البنتان بالجديري، هما الاثنتان، و...» وتنفست ريبيكا بعمق وهي تتابع قائلة: «إنك لن تصدقي أبداً ما حدث، يا اوليفيا، ذلك أنني كسرت قدمي لتوّي.»

فهتفت اوليفيا: «آه... كيف حدث لك هذا يا ريبيكا؟»

وتلت تلك قصة طويلة عن الكيفية التي تزحلقت فيها ريبيكا على السلم، وكيف أن داون هو في واشنطن في عمل لن يعود منه قبل ليلة الأحد. وكيف مكثت صديقة لها مع

الطفلتين، بينما ذهبت صديقة أخرى معها إلى المستشفى.

وسألتها اوليفيا: «وأين هو داون الآن، هل عاد إلى البيت؟»

أجابت: «إنه لم يعلم بالأمر بعد، فأنا لم أشأ أن يخبروه، إذ أن هذه القضية التي سافر لأجلها هي بالغة الأهمية، وأنا لن أموت على كل حال، ولا الابنتان كذلك يا اوليفيا.»

وكانت اوليفيا تعلم بأمر تلك القضية التي إذا نجح داون فيها، فسيمنح رتبة الزمالة في الحقوق. ولكنه كان يدفع ثمنها غالياً، إذ كان يعمل ساعات طوال حتى في إجازاته الأسبوعية بعيداً عن منزله.

سألتها: «وكيف حالك الآن؟»

أجابت: «إنها تؤلمني بشكل لا أستطيع معه المشي. كما أن البنتين تحكّان جلديهما بجنون. يا ليتك ترينهما فهما تبدوان وكأنهما خارجتان من فيلم مرعب بعد أن دهنت لهما جلديهما، الذي كسته البثور، بمحلول أبيض ملطف. وكلما كان الطفل أكبر سناً، كانت الإصابة أسوأ، كما تعرفين. وهما الآن في الثانية عشرة، إن الحكّة تمنعهما من النوم. وقد أصيبت بيغي بالهستيريا الليلة الماضية، فاستدعيت الطبيب الذي أعطاهما دواءً منوّماً.» واهتز صوت ريبيكا وهي تتابع قائلة: «آه، يا اوليفيا. إنني أكره أن أطلب منك ذلك، ولكن هل بإمكانك أن تأتي إلينا لقضاء يومين أو نحو ذلك تساعدينا فيها؟ لقد استدعيت أمي، ولكن ليس بإمكانها أن تحصل على مقعد في طائرة قبل يوم الأحد، إذ أن الطائرات مزدحمة بمناسبة العيد، ولا أدري ماذا أفعل غير هذا في غياب داون والسيدة سميث.»

قالت اوليفيا: «آه، يا ريبيكا. إن بإمكاني طبعاً أن أحضر. سأحزم حاجياتي وآتي إليك، وسأكون عندك هذه الليلة.» حسناً إن الطرقات مفتوحة والتنبؤات الجوية لا تتحدث عن تساقط ثلوج. وهرعت اوليفيا إلى غرفة نومها، وفجأة تجمّدت في مكانها لفكرة مفاجئة. ذلك أن من المفروض أن تهيىء نفسها الآن لحضور حفلة استقبال الوفد الياباني رفيع المستوى بجانب كلينت هذه الليلة، وقد غاب هذا عن ذهنها تماماً لحظة علمت بمأزق ريبيكا.

فهل يمكنها أن تأخذ حاجياتها وتذهب، هكذا بكل بساطة؟

وابتدأ قلبها يخفق، كلا. لا يمكنها أن تتهرب من ذلك. إن كلينت يعتمد عليها. وبعد ساعتين ستكون السيارة الفيراري هنا لأخذها.

وتملكها الذعر. إن عليها أن تعود فتتصل بريبيكا ولكن، كلا. إنها لا تستطيع أن تتخلّى عنها. فهي وداون هما كل ما لديها من أقرباء، ودوماً كانا يمدان إليها يد العون. والآن، هما بحاجة إليها. وليس بإمكانها التخلي عنهما بينما داون مسافر في عمل، ريبيكا والبنتان فريستين للمرض والمربية غائبة خارج الولاية وليس ثمة من يمدّ لها يد العون.

وماذا بالنسبة إلى الاتفاقية بينها وبين كلينت؟

وأمسكت بالهاتف تحاول الاتصال به. ستشرح له الأمر، ولا بد من أن يتفهم.

ولكن السكرتير أخبرها بأن كلينت يحضر اجتماعاً ولا يريد أي ازعاج.

وتنفست اوليفيا بعمق وهي تقول: «إنها حالة مستعجلة. يجب أن أتحدث إليه الآن.»

قال: «آه، انتظري. إنك محظوظة فهم يخرجون الآن. لحظة واحدة.»

وساد السكون. وعضت اوليفيا شفتها وقد انتبهت إلى مقدار عصبيتها، بينما قلبها يخفق بسرعة.

«هنا مورغان.» وكان هذا صوت كلينت مختصراً متوتراً فارغ الصبر.

وغصت بريقها وهي تقول: «كلينت، إنني شديدة الأسف لإزعاجك، ولكنني في مشكلة ضخمة ولهذا لن أستطيع القدوم هذه الليلة، إنني...»

أجاب: «بل تستطيعين. إن بيننا عقد. إذا كانت لديك مشكلة...»

قاطعته قائلة: «نعم، لديّ! إنني...»

قاطعها: «هل أنت مريضة؟ هل خطفك أحد؟»

قالت: «كلا.»

قال: «في هذه الحالة، عليك أن تتدبري الأمر مهما كان نوعه. قومي باتصالات وتدبيرات مهما تطلب ذلك منك. إنني بحاجة إليك.»

وشعرت بقلبها يغوص بين أضلعها. لقد قال لها إنني بحاجة إليك. هذه الكلمات التي كانت تتمنى لو أنه قصد بها شيئاً آخر، أما ما قصده بها الآن فهذا لم يعجبها. لقد تركت في نفسها مرارة، وكذلك أثارت ثائرتها.

فتوسلت إليه قائلة: «إستمع إليّ يا كلينت.»

ولكن جوابه كان بارداً قاطعاً وهو يقول: «ليس لديّ

وقت. لقد سبق وناقشنا هذا الأمر. وليس لديّ رغبة في معاودة المناقشة. فتدبري أمرك وسأراك الليلة.»

وأقفل الخط.

وألقت هي بالسماعة بعنف. الويل له ولغطرسته.

الفصل السادس

قالت اوليفيا بصوت باك وهي تشد بشعرها يائسة: «ماذا بإمكاني أن افعل، يا سيليا.»

وعندما سمعت سيليا استنجاد اوليفيا المذعور هذا، هرعت إليها دون أن تتكلف عناء تغيير ملابس العمل في المستشفى. حدقت عابسة في فنجان القهوة وكأن الحل كامن في اعماق القهوة السوداء. وقالت تخاطب اوليفيا: «لا يمكنك أن تقولي لاقاربك الوحيدين في هذا العالم، آسفة عليّ أن اذهب إلى حفلة استقبال.»

قالت اوليفيا: «ولكن، ماذا بإمكاني أن أفعل؟ ان بيني وبينه عقد عمل، وليس باستطاعتنا أن نضحي بذلك المبلغ. إننا بحاجة إلى المال.»

قطبت سيليا جبينها، ثم قالت: «ألا تظنين أنه سيتفهم الأمر؟»

تجهم وجه اوليفيا وهي تجيبها: «لقد اتصلت به فعلاً، ولكنه رفض الاستماع إليّ، لقد طلب مني بلهجة قاطعة، ان اتدبر الأمر. وهو يتوقع مني تماماً أن أكون في الحفلة هذه الليلة.»

قالت سيليا: «ولكن هذا غير معقول، يا اوليفيا؟»

أجابت هذه: «أخبرتك بذلك. انه رجل اعمال، قبل كل شيء.» واردفت بمرارة: «الاتفاق هو الاتفاق.»

سألتها: «وهل اخبرته بسبب عدم تمكنك من الذهاب إلى الحفلة؟»

أجابت اوليفيا: «إنه لم يتح لي الفرصة لكي أشرح له السبب.»

حملقت في سيليا وقلبها يخفق بأمل مفاجيء، وهي تقول: «إذهبي أنت معه يا سيليا!»

فاتسعت عينا سيليا قائلة: «انك لا شك تمزحين. لا يمكنني القيام بذلك.»

قالت اوليفيا: «ولمَ لا؟ ان ما يمكنني القيام به، يمكنك أنت أيضاً فعله.»

قفزت سيليا واقفة وهي تلوّح بيديها قائلة: «ليس لديّ ما أرتديه.»

قفزت اوليفيا بدورها وهي تقول: «يمكنك ارتداء الثوب الذي اشتريناه لهذه المناسبة. الثوب الأزرق الذي اعجبك كثيراً. حتى انك جربته على جسدك. هيا.» وجرت سيليا إلى غرفة نومها، وفتحت الخزانة لتخرج الثوب الأزرق بعناية ثم تضعه على السرير، وكانت قد اخرجته من كيسه الواقي في الليلة الماضية وجهزت كل شيء تحتاجه. الحذاء، الحلي، الشال. ثم نظرت إلى سيليا وهي تقول متوسلة: «ارجوك.» ولكن سيليا هزت رأسها قائلة: «ولكنني لا اعرف الرجل، كما أنه لا يعرفني.»

أجابت: «لقد سبق وقابلته، ثم إن هذا لا يهم. فهو مجرد عمل.»

ازدردت سيليا ريقها، وقد بدا التردد في عينيها، وقالت: «وماذا سيقول كلينت؟»

أجابت: «لا أظنه سيهتم مادام سيجد امرأة مناسبة بجانبه. إياك أن تدعي الأمر يجرح شعورك، فنحن لا نقوم

بهذا العمل لأجل الحب أو الأنانية. إنما نقوم به لأجل الحصول على المال.»

عادت اوليفيا تقول: «سأتصل به هاتفياً الآن. أرجوك، قولي نعم. ليس هذا لأجلي، بل لأجل مؤسسة ميرسي. فكري في ما سيفيدنا به ذلك المال، ارجوك يا سيليا.»

وأخيراً، لم يكن أمام سيليا سوى الاذعان وهي تنظر إلى الثوب الأزرق متشوقة.

اتصلت اوليفيا بمكتب كلينت، ولكنهم اخبروها بأنه غير موجود وأنه غير عائد إلى المكتب، ما كان له عليها وقع الصاعقة.

قالت بتبلد وهي تنظر في ساعتها: «إنني لم أجده، والسيارة ستكون هنا في السابعة.»

سألتها: «وهل سيكون هو فيها؟»

أجابت: «ربما لا. فالعادة أن يأتي آلان السائق بمفرده، ليأخذني إلى كلينت. انما ليس اليوم لحسن الحظ، إذ عليّ أن استعد في منزلي لتأخذني السيارة إلى الحفلة رأساً.»

وأدارت اوليفيا رقم هاتف الفيراري ليرد عليها صوت آلان.

قالت: «آلان. إنني اوليفيا، انني أريد أن اترك خبراً مستعجلاً للسيد مورغان. ولكنني لم استطع العثور عليه هذه اللحظة، هل ستراه قبل أن تأتي إلى هنا؟»

أجاب السائق: «نعم. سأراه. اتريدينني أن اخبره بنفسي بما تريدين؟»

أجابت: «نعم. أخبره انني سأتصل به على هذا الخط. أي وقت سيناسبه؟»

أجاب: «حوالي الخامسة والربع.»

قالت: «شكراً لك.» وألقت السماعة من يدها. وبعد ذلك بعشر دقائق، كانت قد جمعت حاجياتها وجلست في سيارتها. وحاولت الاسترخاء وراء المقود. ليس ثمة ما يمكنها عمله الآن قبل الخامسة والربع وهو موعد اتصالها بكلينت.

واستمرت تنظر في ساعتها لترى الوقت. وفي الخامسة والدقيقة الثالثة عشرة، لمحت كشك هاتف عام. فأوقفت سيارتها بجانب الطريق.

وأدارت الرقم بأصابع ترتجف، ليلتقط كلينت السماعة من الجانب الآخر.

والتقطت نفساً عميقاً وهي تستند إلى جدار الكشك الزجاجي، وهي تقول: «كلينت، انني اوليفيا. لقد تدبرت الأمر.»

قال: «هذا حسن. وما كل تلك الضجة التي اسمعها؟»

أجابت: «انها حركة السير. انها شاحنة مرت من هنا، فأنا اتحدث إليك من محطة غاز. انني في طريقي إلى فيلادلفيا و...»

وجاءها صوته بارداً قاطعاً عبر المسافة: «اعتقد ان المفروض ان تكوني معي هذه الليلة.»

قالت: «أعلم. أعلم. ولكنني وجدت لك امرأة اخرى. ان صديقتي سيليا ستأخذ...»

قال بعنف: «وجدت ماذا؟»

فتشبثت بالسماعة بشدة محاولة التمسك بالهدوء، وهي تجيبه قائلة: «ان سيليا ستكون معك. وهي قادرة تماماً على

ابقاء النسور الطامحة في أوكارها، إن نظراتها يمكن أن تكون قاتلة.» وكادت تضحك وهي تتذكر كيف تركت صديقتها والعصبية والخوف يكادان يقتلانها. وتابعت تقول: «انها في منزلي تستعد للذهاب. ليس ثمة مشكلة. صدقني.»

قال ببرود: «ليس هذا هو الاتفاق الذي عقدناه.» وشعرت برجفة في جسدها، وقالت تجيبه: «اعرف. اعرف. انني آسفة جداً. ولكن عليّ أن اذهب لأساعد ريبيكا وابنتيها. انهن بحاجة إليّ، وليس لديّ خيار. وقد تعبت في اقناع سيليا لكي تقبل بأن تحل مكاني.»

قال لها بصوت بدا التهكم في نبراته: «وهل هذا صحيح؟»

أجابت: «نعم. أوه، أرجوك أن لا تسيء الظن. لا تقلق لذلك. فهي فتاة رائعة، وقد سبق لك اللقاء بها. أتذكر؟ انها شقراء، جميلة...»

قاطعها قائلاً: «اعفيني من سماع التفاصيل. فهذا لن يفيد، يا اوليفيا انني اريدك أنت، فهذا ما تنص عليه الاتفاقية التي بيننا.»

أجابت: «انني آسفة لأن هذا ليس بإمكاني. لقد طلبت مني أن اتدبر الأمر، ففعلت. لقد حاولت بذل جهدي.»

لوت شفتيها للسماعة، ثم ادارت رقم هاتفها هي. ردت سيليا عليها، فقالت بسرعة: «انني انا اوليفيا، يا سيليا. لقد تحدثت إلى كلينت لتوي وهو يعلم الآن بالأمر. كيف حالك؟»

أجابت: «لقد انتهيت لتوي من أخذ حمام. وأمي ستصل بعد دقائق، وهي تظن أن هذه فرصة

رائعة.» وبدا من لهجة سيليا وكأنها تشك في عقلانية أمها.

قالت اوليفيا: «قد تكون فرصة العمر، من يعلم؟ ربما ستقابلين زوج المستقبل هذه الليلة والذي سيكون رجلاً ثرياً. علي ان اذهب الآن إلى اللقاء، اتمنى لك حظاً سعيداً.»

وعندما وصلت، وجدت بيت عمها في حالة تعيسة يرثى لها. وفتحت لها الباب إحدى الفتاتين وقد بدت كشبح في كابوس ملطخ بالطباشير. بينما ظهرت الفتاة الأخرى على قمة السلم لتنخرط في البكاء. ولم تستطع اوليفيا تمييز احداهما عن الأخرى بعد أن لطخ الدواء الوجه منهما والذراعين. وكانت أمهما مستلقية على الأريكة بعينين جامدتين، وهي تقول باكية: «لا أدري ماذا يوجد في هذا الدواء. فأنا أرى خيالات على امتداد الجدران. ما الذي اعطوني إياه، يا اوليفيا؟»

نظرت اوليفيا إليهن هن الثلاث وقد نطقت ملامحهن بالأمل والارتياح لرؤيتها بينهن. كانت فكرتها في القدوم إليهن، صائبة تماماً. وبهذا، نبذت صورة كلينت من ذهنها بكل عزم. حسناً، لقد حاولت ذلك على كل حال.

جاءت سيليا لرؤيتهن صباح السبت لتسأل: «كيف حال الجميع؟»

وكان الجواب «بأتعس حال، إنما في تحسن.»

فقد كانت الليلة الماضية عبارة عن محنة. إذ استيقظت الفتاتان عدة مرات في الليل، وقد جن جنونهما من جراء اللهفة إلى الحك. بينما تورمت جفون اوليفيا من قلة النوم وتابعت: «وماذا عنك أنت؟»

ضحكت سيليا قائلة: «لقد كانت تجربة تثقيفية.»

كانت الأمطار تصفع نوافذ السيارة بقوة عطلت معها مساحة المطر. وكان جسدها يرتجف وهو ينحني فوق عجلة القيادة، كانت تحملق في جدار الأمطار الذي أمامها محاولة ان لا تفقد آثار الطريق امامها. وكانت تتبع الضوء الخلفي الأحمر للسيارة التي أمامها، وهي تدعو ان يتمكن سائق تلك السيارة من رؤية طريقه جيداً.

كان اليوم هو الأحد، وكانت والدة ريبيكا قد وصلت قبيل الظهر، فخرجت بعد ذلك، اوليفيا في أقرب وقت تستطيعه، راجية أن تكون العاصفة التي انذرت بها النشرة الجوية قد مكثت غرباً فلا تضرب المنطقة هنا قبل أن تصل إلى قريتها فريندلي بسلام. ولكن هذا لم يحدث.

بعد فترة، قل هطول المطر نوعاً ما فأمكنها أن ترى الخراب الذي سببه الريح والماء حولها. سيارات خارجة عن الطريق. اشجار اقتلعت من جذورها. وأمامها، تحت السماء الضبابية اللون، امتد الطريق إلى ما لا نهاية. وكانت الرياح تدفع سيارتها الصغيرة بوحشية، ولكن لم يكن هناك مكان تقف فيه، ما اضطرها إلى متابعة السير.

امتد الطريق، وامتدت الساعات معه، فتوترت اعصابها، أما كيف وصلت إلى بيتها، فهذا ما لم تكن تعرفه، فقد تبلدت احاسيسها بفعل الارهاق، إلى درجة لم تستطع ان تتحمل فيها عناء اخراج حقيبتها الليلية من السيارة، فتركتها فيها. كان كل ما تريده، هو أن تدخل بيتها لتشعر بالأمان والدفء يحيطان بها. وزال التوتر منها في النهاية. ووقفت في غرفة الجلوس وهي ترتجف من ردة الفعل.

واشعلت نيران المدفأة بيدين مرتجفتين، ثم دخلت المطبخ حيث صنعت لنفسها كوباً من الكاكاو، وجلست على الأريكة الجلدية ممددة قدميها، وأخذت ترتشفه شاعرة بالدفء يهدىء من اعصابها. ونظرت إلى الساعة تستجمع أفكارها بسرعة، ثم جذبت عليها غطاء لتغمض بعد ذلك عينيها. ان ساعة ترتاح فيها، تساعدها على استرداد قواها، وسرعان ما استغرقت في نوم آمن عميق وقد هد الارهاق جسدها.

كان ثمة وجه يلقي بنظراته عليها. كان وجهاً مألوفاً. شعر قاتم. عينان قاتمتان. كلينت. وللحظة ظنت أنها ما زالت تحلم. وحاولت أن تتحرك. ولكن التعب كان يثقل اطرافها، فبقيت مستلقية حيث هي، رافعة بصرها تحدق فيه بذهن مشوش.

قال: «لقد كنت نائمة.» وكان واقفاً قرب الأريكة مشرفاً عليها وهو يقول: «كنت واقفاً هناك انظر إليك.»

كان ذهنها مشتتاً ضائعاً. وكل الجمل التي كانت أعدتها وتمرنت عليها طيلة اليومين الماضيين، لكي تقولها له، ضاعت كلها وتلاشت من ذهنها. ورفعت شعرها عن عينيها وهي تحاول جاهدة، ان تجلس، ثم سألته بصوت أبح متردد: «لماذا أنت هنا؟» آه، ما هذا؟ هل غلبها النوم؟ فقال يذكرها: «لأننا خارجان إلى حفلة عشاء هذه الليلة.»

قالت: «أعلم، أعلم... لقد كنت موشكة على أن أتهيأ لذلك.» وألقت نظرة على ساعة الجدار، كانت قد تجاوزت

السادسة بقليل. وتأوهت قائلة: «آه، كلا، إني آسفة.» ذلك انها رقدت اكثر من ساعتين. وتابعت تقول: «سأكون جاهزة بسرعة.» وحاولت أن تقف، ولكنه منعها وهو يسألها: «ما الذي يجري هنا؟»

أجابت وقد غصت بريقها: «لا شيء. لقد استغرقت في النوم دون شعور مني وهذا كل شيء.» وشعرت بأنها تتحفز للدفاع. إذ لم تكن قد توقعت أن مناقشتها ستسلك هذا السبيل، وهي شبه غائبة عن الوعي، وشعرها منتشر في كل ناحية. فهذا المنظر غير مناسب. وإذا ارادت ان تحظى برضى كلينت، فليس بهذه الطريقة. لقد كان المفروض ان تبدو متألقة رائعة ومستعدة لسهرة أخرى. ولكنها بدلاً من ذلك، بدت ميتة اكثر منها حية.

قال: «كان باب بيتك الخلفي مفتوحاً، وكان يمكن لأي كان أن يدخل دون أن يراه أحد.»

إذن، فهذه هي الطريقة التي دخل بها إلى المنزل. وإن لم يخطر ببالها أن تتساءل عن هذا الأمر. وسألته: «لماذا لم تقرع الجرس؟»

أجاب: «لقد فعلت، ولكنك لم تجيبي. كذلك قرعت الباب دون جواب.»

قالت: «انني لم اسمع الجرس.» إذن، فقد كانت من الاستغراق في النوم بحيث كان يمكن أن ترقد حتى الصباح على هذه الأريكة. وعليها الآن ان تنهض وتستعد للخروج. وتخللت شعرها بأصابعها وهي تقول: «سأذهب لأغتسل.»

قال باقتضاب: «انسي هذا.»

قالت: «لقد تأخر بنا الوقت.»

قال وهو يبتعد عنها: «انسي العشاء.»

أخذت تنظر إلى ظهره، وفجأة شعرت ببرد شديد. إذن، لقد افسدت هي كل شيء. ولكن ما سبب مجيئه إلى هنا؟ وفركت وجهها عاجزة عن التفكير. لم تستطع ان تفهم شيئاً. وسرى في نفسها خوف هائل.

خرج كلينت من الباب الأمامي. لا شك أنه رحل، فقد كان في منتهى الغضب لما فعلت.

ولكنه عاد بعد لحظات يحمل إناء القهوة من السيارة الفيراري. فتناول فنجانين من المطبخ ثم سكب فنجاناً لكل منهما.

قال: «هذا سيجعلك تشعرين بالتحسن.»

قالت وهي تتناول منه الفنجان بلهفة: «شكراً لك.»

سألته: «ماذا بالنسبة إلى العشاء؟ هل أنا مطرودة؟»

فرفع حاجبه بدهشة وهو يقول: «انني لم أطردك، كما أننا لن نذهب إلى حفلة العشاء. لقد جئت لأعتذر عن هاتف السيارة.»

قالت: «إنني آسفة، فالذنب ذنبي. إنني آسفة بالنسبة إلى ليلة الجمعة. ولكن لم يكن أمامي أي خيار.» ولكن لماذا هي تعتذر؟ فقد قامت بما يجب عليها فعله. وما كان لها أن تقوم بسوى ذلك. وقد حاولت أن تعود لأجل عشاء الليلة، وذلك في الوقت المناسب، فكادت تلك المحاولة أن تسبب لها الموت على الطرقات. فلماذا تشعر فجأة وكأنها موشكة على البكاء؟

قال لها وهو يشرب قهوته: «اشربي قهوتك، وكفى اعتذاراً.»

استقامت في جلستها وهي تنظر إليه مباشرة قائلة: «يمكنك ان تخبرني الآن وينتهي الأمر.»

سألها: «اخبرك بماذا؟»

أجابت: «بما جئت لتخبرني به. وما هو وضعي الآن، وماذا تتوقع مني، وماذا تريد. عندما اتصلت بك ليلة الجمعة الماضية، لم تكن راضياً قط من الطريقة التي عالجت فيها مشكلتي. وكانت تلك افضل طريقة استطعتها، فإذا...»

قاطعها قائلاً: «شيء وحيد لم اتوقعه منك وهو أن تعودي بسيارتك إلى منزلك أثناء تلك العاصفة الخطيرة.» وكان يتكلم بصوت حاد، واضعاً يديه في جيبيه.

فردت عليه بحدة هي أيضاً ما جعل جو الغرفة يسوده التوتر: «أحقاً؟ كنت أظن أن امورك هي أهم من أي شيء آخر. إذ حسب اعتبارك، رغباتك هي في المقدمة. وقد أبديت ذلك بجلاء يوم الجمعة الماضية. فأنا لست غبية، يا كلينت. إنني...» وسكتت وهي تصرف بأسنانها تغالب بذلك دموعها. ويحها إذا كانت ستبكي أمامه.

قال عابساً: «ولكنك لم تخبريني ما هي مشكلتك.»

أجابت: «آه، طبعاً، لم اخبرك. وهل كنت ستهتم لو أنني كنت فعلت؟ إذ، ما دمت لم أكن مريضة ولا مخطوفة، فأنت لم تشأ ان تستمع إلى أي عذر آخر... بل طلبت مني أن اتدبر الأمر حسب اجتهادي. حسناً، ها إنني فعلت، وتدبرت أمري إلى حد التعرض لتلك العاصفة الممطرة! فإياك أن تقول انك لم تكن تتوقع مني أن افعل ذلك.» وتنفست بعمق وهي ترتجف ثم استطردت تقول: «ثم دعني اكون واضحة تماماً وهو

انني لم اسابق العاصفة في طريقي إلى هنا لأنني اهتم لمناسباتك الاجتماعية السخيفة، أو لأدخل السرور إلى نفسك، أو لأي شيء آخر.» وسكتت برهة عادت بعدها تقول: «وإنما فعلت ذلك لأجل المال.»

قال بهدوء: «طبعاً. والآن، اشربي قهوتك.»

وتملكتها رغبة قوية في أن تقذف بالقهوة في وجهه، ولكنها بدلاً من ذلك، تملكها الرعب وهي ترى نفسها تشهق باكية ودموعها تنهمر على وجنتيها. لقد دمر الغضب، وقلة النوم، وعودتها إلى بيتها بذلك الشكل المخيف، كل هذا دمر تمالكها لنفسها. وشهقت قائلة بعد أن تسبب ارتجاف يدها في انسكاب القهوة على الأرض: «تباً لهذا.»

«اوليفيا؟»

جلس على الأريكة، ليقول: «انا آسف. لم اكن أريدك أن تبكي. إنني وغد أناني حقاً.»

ولكن بكاءها ازداد. لقد شعرت بشيء يتحطم في داخلها لم تتمكن معه من التوقف. وقالت من بين دموعها: «إنني... لاأبكي... أبداً.» وانفجرت شهقاتها بعنف.

ناولها علبة مناديل الورق. وبعد أن جففت وجهها، وتوقفت دموعها، شعرت بغضبها يتلاشى وانتبهت إلى احاسيس أخرى سببت لها المزيد من الهلع. ما الذي حدث لها وهي التي كانت منذ دقائق تطلب منه، غاضبة، أن يذهب ويدعها وشأنها؟ وما هذه المشاعر المجنونة التي تحركت في اعماقها؟

وفجأة، قال وهو يستند إلى الوسادة خلفه: «هل تشعرين بتحسن الآن؟»

أومأت برأسها وقد ساورها شعور بالبرودة، خائفة من أن تنظر في عينيه، وازدردت ريقها وهي تحاول تمالك نفسها قبل ان تقول: «إنني احسن الآن.» وما لبثت أن رفعت وجهها تنظر إلى وجهه، ولكنها لم تلمح على قسماته أي تعبير. لا ابتسامة، ولا اثراً من عاطفة، وكأن لحظات الحنان تلك التي مرت بهما قد اختفت في مكان غير مرئي.

ووقفت، محاولة أن تستعيد مشاعرها وهي تقول: «إنني آسفة للضعف الذي بدا مني. وهذا ليس من عادتي. والآن، أرجو المعذرة، عليّ أن اصلح من شكلي.»

ذهبت إلى غرفتها وأصلحت من زينتها، ثم ارتدت ثوباً شرقياً فضفاضاً متعدد الألوان، يزينه تطريز كثير حول العنق. ومشطت شعرها، تاركة إياه منسدلاً حول كتفيها. وتفحصت وجهها بدقة في المرآة لترى البريق قد عاد إلى عينيها واللون إلى وجنتيها. واغمضت عينيها وتنهدت، ثم تساءلت، ما الذي جرى لي؟

وعادت إلى غرفة الجلوس لترى كلينت يجلس واجماً أمام التلفزيون. وسألته ببساطة، وقد قررت ان تبدو متمالكة لنفسها: «هل الأخبار سيئة؟»

هز كتفيه وهو يقفل التلفزيون، قائلاً: «إن الاهمال وعدم الكفاءة لا ينفكان عن بعث الدهشة إلى نفسي اجلسي واخبريني كيف حال اقربائك المرضى؟»

حدقت فيه بدهشة، فقال: «لقد اخبرتني سيليا بذلك. يبدو أنها كانت تظنني طاغية كبيراً.»

وأرادت أن تقول له إنه تصرف فعلاً بهذا الشكل، ولكنها ابتلعت كلماتها، وجلست وهي تقول: «مازال اقربائي

مرضى جميعهم، ولكنهم افضل حالاً. وقد وصلت والدة ريبيكا هذا الصباح فاستطعت أن اتركهن.»

سألها: «هل انت جائعة؟»

فقطبت جبينها قائلة: «اظنني كذلك. فأنا لم اتناول طعام الغداء.»

فوقف قائلاً: «سأرسل آلان ليشتري لنا شيئاً.»

قالت: «ليس عليك ذلك. سأصنع لنفسي سندويتشاً.»

فقال: «اعلم ان ليس عليّ هذا. ولكنني سأقوم به على كل حال.»

ومشى نحو الباب وهو يسألها: «أتفضلين نوعاً خاصاً للعشاء؟»

هزت رأسها قائلة: «كلا.»

وخرج كلينت ليلقي بأوامره إلى السائق، بينما اخذت اوليفيا تسوي نيران المدفأة.

قال لها وهو يعود إلى الغرفة: «إنه ثوب جميل.»

أجابت: «نعم. لقد احضره لي أحد اصدقائي بعد أن عاد من رحلة عمل في الخارج.»

ورن جرس الهاتف، فقفزت إليه. وكان المتكلم هو جون أحد اصدقائها منذ عهد الدراسة، وقد اتصل ليخبرها أنه تلقى ترقية في عمله يوم الجمعة الماضية، وقد حاول طيلة عطلة الاسبوع، ان يتصل بها، فلم يجدها.

أجابت: «لقد كنت خارج المدينة، يا جون. هذا رائع، مبروك.»

قال: «انني أقيم سهرة هذه الليلة احتفالاً بالمناسبة. هل يمكنك الحضور؟»

أجابت: «إنني آسفة حقاً. لا يمكنني ذلك. اسمع. سأصنع لك عشاء يوماً ما.»

قال: «كلا، كلا. أنا سأدعوك إلى العشاء خارجاً للاحتفال بذلك. لقد اصبحت ثرياً الآن. وسآخذك إلى مكان راقٍ، لكي اتمكن من التأثير عليك بشدة.»

عضت اوليفيا شفتها مغالبة الضحك وهي تفكر في صعوبة التأثير عليها بعد الأمكنة التي زارتها مؤخراً، ولكنها ردت عليه قائلة: «وأنا في الانتظار.»

عاد يقول: «وربما عدت اطلب منك الزواج مني، إذ قد تعيدين النظر بعد أن زاد دخلي.»

أجابت: «لا تعتمد على ذلك، ولكنني سأقبل دعوة العشاء.»

قال: «قد تكون هذه آخر مرة اطلب منك فيها الزواج، يا اوليفيا. فالأفضل أن تعرفي ما تصنعين. إذ سيكون لدي اطنان من الأموال.»

قالت: «تهنئتي لك مرة أخرى. هيا، متع نفسك.» ووضعت السماعة وهي مازالت تبتسم.

قال كلينت وهو يتفرس في وجهها: «هل هذا هو الصديق الذي احضر لك هذا الثوب، أم هو صديق آخر؟»

أجابت: «جون؟ آه، كلا. إنه شخص آخر. لقد كنا نمثل معاً في تمثيليات المدرسة العليا. وهو يطلب مني الزواج مرة في السنة على الأقل. وقد اتصل بي الآن بعد أن نال ترقية في عمله. ولهذا فكر في أن يجرب ذلك مرة أخرى.»

سألها: «ولماذا لا تتزوجينه؟»

هزت كتفيها وهي تجيب ببساطة: «إن فكرة شاعرية تسيطر عليّ، وهي أن لا اتزوج إلا رجلاً أحبه.»

ورن جرس الباب، فوقف كلينت قائلاً: «إنه آلان.»

كانت قد توقعت عشاء سريعاً... همبرغر... طعاماً صينياً، بيتزا، ولكن ليس هذه الوليمة الدسمة التي احضرها آلان، مصحوبة بغطاء للمائدة واطباق وبقية ادوات المائدة.

وازاح آلان المهارات المتعددة، عدة القهوة عن المنضدة وغيرها من كتب وأشياء مختلفة، ثم بسط الغطاء الأبيض عليها ومن ثم نظم عليها الأطباق.

قالت: «شكراً لك يا آلان.»

فحنى رأسه بتهذيب بالغ، ثم استدار خارجاً من المنزل.

جلست اوليفيا على كرسي وابتدأت تتفرس في ذلك الطعام الشهي. ثم قالت: «لقد كنت اتوقع بيتزا أو ما أشبه ذلك. ما أشد غبائي.»

رفع كلينت حاجبيه قائلاً: «ولماذا يشتري المرء بيتزا بينما بامكانه ان يشتري هذا؟»

نعم، لماذا؟ وقالت: «انه يبدو لذيذاً جداً.» ولقد استمتعت به حقاً. سألته: «ما هو رأيك في سيليا؟»

أجاب بلطف: «انها صديقة وفية لك.»

قال: «نعم. انها لكذلك. اننا صديقتان منذ كنا في الحضانة. واسرتها تحبني جداً، ودوماً يقولون لي إنني كابنتهم تماماً.»

فيما بعد، جلسا يحتسيان القهوة فقالت له: «انني آسفة لتسببي في عدم ذهابك إلى تلك الحفلة.»

أجاب: «حسناً، لقد استمتعت بوجودي هنا.» وألقى نظرة على ساعته، ثم وقف قائلاً: «من الأفضل ان اذهب.»

وقفت هي أيضاً، ثم قالت: «سأراك إذن، الثلاثاء القادم.»

أجاب: «وهو كذلك.» ومد يده يصافحها. ثم قال برقة: «ليلة سعيدة، يا اوليفيا.» ثم استدار خارجاً من البيت دون أية كلمة أخرى.

www.elromancia.com

الفصل السابع

لقد أحبت اوليفيا الطريقة التي كان يعاملها بها كلينت حين يحضران معاً المناسبات المتنوعة... والطريقة التي يبتسم فيها لها. ولكن كان عليها أن تذكر نفسها على الدوام، بأن كل ذلك لم يكن سوى تمثيل، ليبعد النسور عنه. ولكن ذلك كان يبدو لها أحياناً حقيقة إلى حد كان يعجبها التفكير في أنه لا يخرج عن كونه مجرد ادعاء.

وفكرت، ذات مرة في السهولة التي أصبحت عليها الأشياء، وكانا خارجين من الفندق الكبير بعد قضاء سهرة هامة. وكانت تشعر الآن بالراحة إذ أصبحت تعرف مسبقاً ما سيكون. إذ منذ قررت أن لا تستسلم للخوف، أمكنها أن تشعر بالارتياح.

كان الهواء بارداً رطباً، فأسرعا نحو الفيراري الدافئة التي كانت في انتظارهما، وعندما استقرا في مقعدهما، سألها: «هل تريدين أن تشربي شيئاً؟»

فهزت رأسها قائلة: «كلا، شكراً.»

فألقى نظرة على ساعته ثم تحوّل يفتح التلفزيون الصغير، وهو يسألها: «ثمة امرأة أعرفها ستتكلم الآن.»

عاد وقال: «ها هي ذي.» وكانت المرأة التي قدمها البرنامج شقراء صغيرة الحجم ذات عينين زرقاوين عميقتين وبشرة لونتها الشمس بشكل جميل، وكان اسمها ناتالي ميلتون.

قالت اوليفيا: «إنني أعرفها، إنها رسامة وهي تعيش في افريقيا. وقد ذهبت معك إلى معرضها.»

فقال: «إذن، فأنت ما زلت تذكرين ذلك.»

فأجابت: «طبعاً أذكر ذلك. فقد عشقت رسمها. إنها متألقة قوية الألوان.» وعادت تراقب البرنامج مستمعة إلى المقابلة، فقد بيعت إحدى لوحاتها في مزاد علني حيث ذهب ثمنها إلى ميتم صغير في إيف باركو.

نظرت اوليفيا بدهشة إلى كلينت قائلة: «إيف باركو؟»

أجاب: «إنه عالم صغير. فوالد زوجها ألفريد رودجرز وأبي كانا صديقين. ولديهم منزل في إيف باركو أيضاً.»

قالت: «لقد أخبرتني باميلا عن الميتم. هل رأيته؟»

أجاب: «رأيته عدة مرات.» ونظر إليها بحدة، وبدا عليه وكأنه يريد أن يقول شيئاً ولكنه غير رأيه.

استمعا بصمت إلى بقية المقابلة. وتساءلت هي عما إذا كان عليها أن تسأله عن مجيء أطفال الميتم إلى فيلادلفيا للعلاج. ولكنها فضلت الصمت خوفاً من أن يضايقه أن يعلم أن باميلا تتحدث عنه في غيابه، ومضت تحدّق من نافذة السيارة إلى ظلام الليل الحالك.

قالت: «إن الثلج يتساقط. انظر. إنه يتكاثف. لقد توقعوا في النشرة الجوية ان العاصفة الثلجية لن تحدث.»

أجاب: «لقد كانوا على خطأ.» وضغط على زر المكالمة مع السائق يكلمه، ثم استدار إليها قائلاً: «لقد كان يستمع إلى النشرة الجوية. إنهم يتوقعون أن يكون الثلج بارتفاع ست إنشات إلى عشرة. وقد أصبح الآن في الغرب حوالي عدة إنشات. آلان يقترح أن نعود إلى بيتي، إذ ليس من المعقول

أن نحاول الذهاب إلى فريندلي هذه الليلة. فالأفضل أن تمكثي الليلة عندي.»

أجابت: «إنني لن أذهب للعمل غداً على كل حال. إذ في حالة سقوط ذلك المقدار من الثلج فإن المدارس ستقفل أبوابها. أرجو أن تكون الطرقات صالحة غداً لكي يتمكن آلان من أخذي إلى بيتي.»

سألها: «هل ثمة حاجة بك إلى العودة إلى بيتك؟»

ابتسمت وهي تنظر في عينيه قائلة: «نعم. إنني أريد أن ألعب بالثلج مع أولاد الجيران.» أضافت بجد: «إن الأولاد يعتمدون عليّ. فهم دوماً يأتون إليّ يجرونني خارجاً عندما يتساقط الثلج، حيث نصنع منه رجالاً وأكواخاً ثم نبدأ نتقاذف بكرات الثلج. وبعد أن تتجلد أطرافنا من الصقيع نعود جميعاً إلى بيتي حيث نشعل المدفأة ونتناول شراب الكاكاو الساخن. إن هذا تقليد ابتدأت به جدتي.»

قال: «وأنت لا تريدين أن تخيبي أملهم هذه المرة!»

قالت ضاحكة: «طبعاً لا.»

وقفت الفيراري أمام شقة كلينت وساعدها آلان على النزول. وكان الهواء نقياً بارداً وقد غطى ستار أبيض العالم أجمع وخرجت من تحت المظلة الممتدة من البناية إلى الرصيف لتقف تحت الثلج، وقد أحكمت لف شالها حول كتفيها وأخذت تتنفس بعمق وهي تقول: «إن رائحة الثلج رائعة.»

قال كلينت: «ادخلي قبل أن تموتي من البرد في ثوبك هذا.»

أخذت تنظر إليه، إلى هذا الرجل الكبير في بذلة السهرة، والثلج على شعره الأسود وهو يتنفس بعمق. واكتسحتها موجة جارفة من الشوق. لقد كانت متلهفة إلى أن تزيل هذا الوقار، وتخترق ذاك التحفظ. كانت تريد ذلك الدفء الكامن تحت ذلك الغطاء البارد المتزمت. الدفء الذي كانت تلحظه يتألق خلف الابتسامة النادرة في عينيه. تريد أن تسمعه يضحك بصوت عال. أن تراه مسترخياً يتحدث دون مبالاة. أن تراه بعيداً عن أولئك الذين يتحدثون معه عن الأعمال والصفقات.

ابتسمت له قائلة: «تعال معي غداً صباحاً. تعال والعب معي بالثلج.»

وكرر قولها بصوت منخفض: «تريدينني أن أحضر لألعب بالثلج معك؟»

أجابت: «نعم.»

لمعت عيناه بابتسامة وهو يقول: «إنها دعوة لا تقاوم.»

قالت: «ولكن غداً هو الاربعاء وعليك أن تعمل جاداً.»

أجاب: «هذا صحيح. ولكن ليس أثناء تساقط الثلج.»

حملقت فيه قائلة: «أصحيح؟ هل تعني...»

ارتسمت على شفتيه ابتسامة ملتوية وقال: «الآن، يجب علينا حقاً أن نصعد إلى البيت وإلا أضرّ البرد بك.»

وقادها إلى داخل البناية ثم إلى المصعد. وفجأة أخذت ترتجف وهي تشعر لأول مرة بمقدار ما تحس به من البرد.

وعندما دخلا الشقة، قال: «الأفضل أن تتناولي شيئاً يبعث فيك الدفء.»

وكان جمال المنظر من النوافذ العريضة، مذهلاً كان المنظر العام للثلج يتألق بالأنوار كالماس.

وضع كرسياً بجانب النافذة قائلاً: «اجلسي هنا. وسأحضر لك شيئاً.»

جلست تتأمل المنظر وما زالت ترتجف قليلاً وعاد هو يحمل صينية عليها كوبان من الكاكاو الساخنة.

نظرت إليه بدهشة وهي تأخذ الكوب الحار بيديها الباردتين. وأخذت ترشف منه بشراهة. وسحب هو كرسياً آخر إلى جانبها ليجلس عليه. ومن ثم أخذا يتمليان من ذلك المنظر وقد ران عليهما الصمت، وهما يرشفان الشراب. وشعرت بالدفء ونظرت إليه شاعرة بالشوق إليه يعود متسللاً إلى داخلها مرة أخرى.

وأنهت شرابها، فوقفت قائلة: «أشكرك. كان هذا لذيذاً جداً.»

وقف هو أيضاً وعيناه في عينيها. وابتدأ قلبها يخفق.

قال باسماً وقد لانت أسارير وجهه الحادة: «ليلة سعيدة يا اوليفيا.»

قالت تجيبه بصوت أجش منخفض: «ليلة سعيدة.» واستدارت خارجة من الغرفة بسرعة.

• • •

أصابت كرة ثلجية كلينت في ظهره تماماً، وتعالت الأصوات: «ها سيد، أنت ميت.» وأسقط كلينت نفسه على الثلج واوليفيا معه بينما تصاعدت هتافات النصر من جيش من الأولاد.

استلقت اوليفيا على الثلج وقد شعرت بالارتياك.

قال لها: «لا تظهري مثل هذه الدهشة، فأنا أستطيع أن أمثل دور الميت مثلهم تماماً.»

وفي اللحظة التالية، كان الأولاد يتجمعون حولهما وهم يتلوون من الضحك، هاتفين: «إنه ميت. هما الاثنان ميتان، فنلدفنهما.»

وفتح كلينت عينيه ونظر إلى اوليفيا قائلاً: «عندك هنا أطفال متعطشون للدم.»

أجابت: «لا تلمني. فلست أنا من رباهم.»

قال: «لا بد أن السبب هو التلفزيون والفيديو.»

وابتدأت الأيدي الصغيرة تكوّم الثلج فوقهما. فقال لها: «لا أظنهم سوف يفعلون ذلك حقاً...»

قاطعته: «إنهم طبعاً سيفعلون. والآن استلق وتظاهر بالموت.»

وكان القول أسهل من الفعل كما أدركت اوليفيا. فقد كانا مستلقيين. وتساءلت عما جعله يأتي معها ذلك الصباح.

كان الثلج يغطيهما إلى الأعناق بينما الأولاد يصيحون ويرقصون حولهما رقصة الفوز.

ولم تستطع الاحتمال أكثر من ذلك، فصاحت تقول: «من منكم يريد فنجاناً من الكاكاو وكعكة حلوة؟»

وهتف الجميع فرحين فأخذت تكافح لكي تخرج من تحت الثلوج. وهمس كلينت: «جبانة.»

وقف بجانب الباب ويده على المقبض. كان الأولاد قد ذهبوا ليعود البيت هادئاً مرة أخرى. وقال: «أشكرك للعب بالثلج. فقد كان منعشاً جداً.»

ابتسمت قائلة: «أهلاً وسهلاً بك.»

ألقى عليها نظرة طويلة صامتة، وبدا التردد في عينيه لحظة، ثم قال بلطف: «كان يجب أن تنجبي أولاداً.»

أجابت: «إنني أتمنى ذلك، ولكن قبل ذلك عليّ أن أجد لنفسي زوجاً، ومن الأفضل أن يكون ذلك بالطريقة المعتادة.»

سكت لحظة، ثم سألها: «وهل تظنين أنك ستجدين زوجاً هنا في هذه الأنحاء؟»

قالت: «وما الخطأ في هذه الأنحاء؟» ولم تفهم السبب في شعورها المفاجيء هذا بالغضب والتحفز للدفاع.

هز كتفيه قائلاً: «ماذا تجدين هنا؟ أهناك سوى المزيد من الرجال المتزوجين والفلاحين المتزوجين، وكبار السن. إنك لن تجدي أحداً هنا تتزوجينه.»

قالت بعناد: «إنني أحب العيش هنا، وهذا قد يجعلني أكبر في السن لأصبح معلمة عانساً غريبة الأطوار.»

قال: «لتحيكي الكنزات وتجلسي قرب أطفال الآخرين عندما يخرجون وترسلي صناديق الأطعمة إلى الجائعين؟»

ثار غضبها، وربما كان ذلك في الحقيقة خوفاً أكثر منه غضباً. الخوف من أن يكون كلامه صحيحاً وأنها قد لا تجد أبداً الرجل الذي تشاركه حياتها. الخوف من أن لا تشعر نحو رجل آخر نفس الشعور الذي تشعر به نحوه، بينما هو طبعاً ليس معروضاً للزواج.

قالت وقد سرى التوتر في جسدها: «يمكنني أن أفكر في أشياء أسوأ من هذه. على كل حال، ما الذي يهمك أنت من أمري؟ فأنا لست إلاّ موظفة مؤقتة عندك وعندما ينتهي

موسم الإجازات لن يعود لك بي حاجة ولن تراني مطلقاً بعد ذلك، فلا حاجة بك للقلق عليّ.»

كانت بهذا تكلم نفسها أكثر مما تكلمه. إن عليها أن تعتاد على هذه الفكرة، وتشدّد من عزيمتها ضد مشاعرها. وعلى كل حال فهذا هو ما سيحدث في النهاية.

وتفرّس في وجهها بصمت دون أن تنبيء ملامحه عن شيء، ليقول بعد ذلك: «هذا صحيح.» ثم استدار فجأة وخرج.

وغاصت في مقعدها وهي تشعر بقلبها يتمزق.

مساء الأحد، كان هناك احتفال خيري، وبعدها أخذها كلينت إلى مطعم صغير لتناول عشاء متأخر، وكانت هذه هي المرة الأولى التي يخرجان فيها وحدهما. فقد كان هنالك دوماً أناس حولهما. معارف، أصدقاء.

وبدا عدم وجود آخرين حولهما، شيئاً غريباً نوعاً ما، ولكن هذا أعجبها إذ كان بإمكانها أن ترتاح من القلق بشأن ما عليها أن تقوله أو لا تقوله.

وكانا بانتظار ما طلباه من عشاء، عندما مدّ كلينت يده إلى جيبه الداخلي ليخرج منه شيئاً ناولها إياه عبر المائدة، وهو يقول: «هاك، إنني أريدك أن تأخذي هذا.»

الفصل الثامن

نظرت اوليفيا إلى الشيك الذي ناولها إياه، ثم عادت تنظر إلى كلينت. ولكن وجهه لم يوضح لها أي شيء.

قالت: «إنني لا أفهم لماذا تعطيني هذا؟»

أجاب: «إنني أريدك أن تأخذيه وتنفقي منه علي نفسك.»

أخذت تحدق في الشيك بين يديها. كان مبلغاً ضخماً، بالنسبة إليها على الأقل. هل تراه يشعر بالأسى لأجلها؟ هل يظن أنها فقيرة، تعيش في بيت صغير، وتأكل حساء جذور الخضار وتطهو طعامها بيدها.

ولكنها ليست فقيرة، ان بامكانها ان تعيش في الضواحي في بيت مرفه ذي تدفئة مركزية لو انها شاءت، فلديها وظيفة جيدة وحالتها على ما يرام.

قال: «ليست المسألة هي الحاجة اليه، وانما المسألة هي أن تأخذيه فقط وتنفقيه. انفقيه على أي شيء مهما يكن تافهاً.»

هزت رأسها ببطء قائلة: «كلا، يا كلينت، انني لا اريده. انني لا استطيع قبوله.» انها لا تريده ولو لتنفقه على أشياء تافهة كما يقول.

قال: «إنني اصر على ذلك، يا اوليفيا.» والتقت اعينهما وقد بان التصميم الكامل في عينيه، وهو يتابع قائلاً: «لقد حان الوقت لكي يعطيك شخص ما، شيئاً.»

نظرت إليه بدهشة، قائلة: «لا أدري ماذا تعني.»

أجاب: «انك، على الدوام، تعطين من ذاتك. العطاء هو عملك المستمر. إنك تنفقين الساعات تعملين لمؤسسة ميرسي حيث تهتمين بأناس آخرين، فترسلين اليهم الطعام والأغطية، وتفتشين لهم عن أعمال وبيوت يسكنون فيها، وتسافرين للعناية بأقربائك المرضى. إضافة إلى أعمال أخرى لا أعلمها بعد.»

تأوهت بخيبة أمل، ثم قالت: «كلينت، انني احب القيام بكل هذا! كما أنني لا اقوم بذلك وحدي، فمن فضلك، لا تجعلني ابدو وكأني شهيدة.»

قال: «ولكنني، فقط، اريد أن أقدم لك شيئاً، يا اوليفيا، فما الخطأ في ذلك؟»

هزت رأسها قائلة: «ليس ثمة ما يستدعي ذلك، ولقد سبق وقدمت إلى مؤسسة ميرسي هبة سخية، وعلى هذا قامت الاتفاقية بيننا.»

قال: «ولكن هذا لا يتعلق بالعمل.»

عضت شفتها قائلة: «اذا كان لا يتعلق بالعمل، فما هو إذن؟»

شعرت فجأة، بخفقات قلبها ترتفع دون أن تدرك السبب.

أجاب: «إنه هدية، هدية شخصية فقط مني اليك، بسيطة جداً.»

شخصية؟ ونظرت في وجهه متسائلة عما يدور في ذهنه، انه يبدو مهتماً فقط في معرفتها، ولكنه لا يريدها ان تعرف شيئا عنه. أما كل هذا فما هو سوى أشياء مؤقتة. كما أنه لا يدين لها بشيء. قالت له بدعابة: «ليس عليك أن تمنحني شيئاً. قدم إلي علبة شيكولاتة وسأقبلها منك.»

ورغم مهارته في اخفاء تعابير وجهه، فقد بدت الدهشة واضحة على وجهه، وهو يقول: «إنك ترفضين هذا الشيك ولكنك تقبلين علبة من الشيكولاتة؟»

حملقت فيه بعينين متسعتين بكل براءة وهي تحاول منع نفسها من الضحك، قائلة: «نعم. علبة كبيرة.»

استند كلينت إلى مسند كرسيه يتفرس في وجهها بصمت.

وضعت اوليفيا الشيك على غطاء المائدة وهي تقول: «مازلت لا أفهم لماذا تريدني أن آخذ هذا.»

مضت فترة صمت، ثم قال بهدوء: «لقد جعلتني اشعر باستقرار نفسي، يا اوليفيا، فأنا استمتع بصحبتك. انك تبعثين البهجة في نفسي والبسمة إلى شفتي، فأنا أريد فقط أن أعطيك شيئاً بالمقابل.»

حدقت فيه، لم تستطع أن تصدق أذنيها، ثم، سرى في نفسها شعور غريب. شعور هو مزيج من الحزن والرقة البالغة.

قالت: «انك لا تدفع للآخرين أجراً لأنك تشعر معهم بالبهجة والاستقرار النفسي، يا كلينت، فهذا يأتي مجاناً.»

لم يقل شيئاً، وبدا وكأنه يخفي مشاعره وراء ملامحه الجامدة هذه.

عادت تقول برقة: «إنك تظن أن كل شيء يمكن بيعه. وأنك إذا أردت شيئاً يمكنك شراؤه بالمال، وأن الآخرين اذا منحوك شيئاً، أو قاموا نحوك بشيء، فهم يتوقعون منك شيئاً بالمقابل.» ونظرت في وجهه وهي تعض شفتها ثم تتابع قائلة: «حسناً، انك على خطأ، يا كلينت. فبعض الناس

يظهرون المودة نحوك احياناً، لمجرد انهم يشعرون بذلك، وأحياناً يقدم بعض الناس شيئاً من ذاتهم، لأنهم فقط يشعرون بالبهجة لذلك.» والتقطت الشيك، وطوته بعناية، ثم وضعته في يده وهي تقول: «انني لا أريد نقودك، يا كلينت.»

وعندما انتهيا من الطعام، أوصلها كلينت إلى بيتها إذ أن عليها تعليماً في المدرسة في صباح اليوم التالي. وكانت قد استمتعت بالعشاء، كما أنهما لم يتطرقا بعد ذلك، إلى ذكر النقود.

مشى إلى الباب حيث أخذ المفتاح من يدها وفتح لها الباب.

قالت: «أشكرك لأجل العشاء.» وبدت هذه الجملة رسمية على غير ما كانت تنوي.

أجاب: «إنني من عليه أن يقدم الشكر. ليلة سعيدة يا اوليفيا.» ثم استدار مبتعداً نحو سيارته الفيراري.

دخلت اوليفيا، ثم أغلقت الباب، وهي لا تكاد تتمكن من التقاط أنفاسها. وكانت ساقاها ترتجفان، فتهالكت على الأريكة.

ما الذي كان يريده منها؟ كان هذا هو السؤال الذي سيطر عليها طيلة الليلة القلقة هذه واليوم التالي. وحال اضطرابها دون ان تصل الى قرار. وبدا الضيق على الأطفال في الصف، ولكن ربما كان ذلك انعكاساً لغياب ذهنها هي.

بقيت كلمات سبق لكلينت أن نطق بها، تراودها دون انقطاع طيلة النهار، فترى فيها رسالة ما، فشلت هي في ادراك معناها. لقد قال: «انها هدية شخصية، وانني فقط اريد أن أعطيك شيئاً بالمقابل.»

كان يشعر بأنها قد منحته شيئاً، فشعر بجميلها عليه، ذلك أنه لم يعتد على الأخذ في نهاية العلاقة، دون شك. لقد كان هو الباذل، على الدوام، للهدايا والمساعدة. فهو يريد أن يحتفظ بالتوازن، من هذه الناحية، بينه وبين الآخرين.

لا بد أنه استخلص من هذه الاتفاقية التي أقامها معها، أكثر مما اشترط، هل هذا هو السبب؟ هل تراه شعر... وأزاحت شعرها عن وجهها، بحيرة، لتركز ذهنها على اللوح الأسود، في الصف. وبعد وصولها إلى بيتها بوقت قصير بعد ظهر ذلك النهار، وقفت سيارة امام بيتها لتسلمها علبة ضخمة ذهبية من الشيكولاتة.

قالت سيليا بابتسامة عريضة وهي تنظر بشراهة إلى العلبة الفخمة على مائدة القهوه في بيت اوليفيا، وكانت قد وصلت بعد دقائق من وصول العلبة: «ان الحاسة السادسة عندي عظيمة.»

أجابت اوليفيا: «وكذلك توقيت مجيئك كان عظيماً.»

قالت سيليا: «لم أر قط من قبل علبة بهذا الحجم. هل ستفتحينها؟»

أجابت: «كلا، بل سأغمسها كلها في البرونز، ثم أتركها للأجيال القادمة. طبعاً سأفتحها.»

قالت سيليا: «إن الشريط الحريري وحده الذي يحيط بها لا يقل ثمنه عن خمسة دولارات.» وكانت تلقي بملاحظاتها هذه بينما كانت اوليفيا تزيح الشريط. ورفعت الغطاء،

لتحدقا لحظة، بدهشة وذهول في ذلك العرض البالغ الجمال للشيكولاته في الداخل.

قالت اوليفيا متصنعة الجد: «أية حبة تظنينها افضل مذاقاً؟»

أجابت سيليا على الفور، بلهجة رزينة: «لن يمكنك معرفة ذلك الا إذا جربتها جميعاً.»

قالت اوليفيا: «حسناً، فلنبدأ اذن.»

وبعد التهام ثلاث قطع، شعرت اوليفيا بالرغبة في الضحك ثم ذهبت إلى المطبخ تسكب القهوة، بينما قالت سيليا: «هذه الحبة ممزوجة بالجوز. انها رائعة.» ونظرت إليها بعينين ضيقتين وهي تسألها: «لماذا أهداك كلينت هذه العلبة؟»

أجابت: «أنا طلبتها منه.»

حملقت سيليا فيها قائلة: «هل طلبت منه علبة شيكولاته؟»

أجابت بابتسامة عريضة: «نعم، لقد كان أعطاني شيكاً بمبلغ ضخم، ولكنني اخبرته أنني لا أريد نقوده، وأن بامكانه ان يعطيني بدلاً منه علبة شيكولاته.» وكانت سيليا تستمع إليها فاغرة فاها ذهولاً. وعندما انتهت القصة، استمرت سيليا صامتة لحظة، وهي تفكر. وأخيراً قالت لها: «ربما كان يهدف، من ورائها، إلى أن يقول لك شيئاً.»

سألتها اوليفيا: «مثل ماذا؟»

أجابت سيليا: «انه يريدك، لقد جذبته أنت. إنه يحاول أن يشتريك لئلا يشعر، بعد ذلك، بالذنب، وهذا لا يعني أنه ممن يشعرون بالذنب.»

شعرت اوليفيا بقلبها ينقبض فقالت: «هذا جنون.» إنها لم تقتنع بكلامها هذا تماماً. ولكن، هل من الممكن أن يكون صحيحاً؟

قالت سيليا: «ان الأغنياء يقومون بأشياء جنونية. هل قرأت في الصحيفة عن ذلك الرجل المغني الذي بنى لكلبه ضريحاً مصفحاً بالذهب؟ لقد كلفه ذلك...»

قاطعتها اوليفيا قائلة وهي تنظر إلى ساعتها: «لقد قرأت ذلك.» وأغلقت العلبة قائلة: «إن آلان سيكون هنا بعد نصف ساعة. ومادمت هنا، لماذا لا تساعديني على تحضير المعلبات للتسليم؟»

قالت سيليا: «هل أنت خارجة مرة أخرى؟ اه! كيف يمكنك أن تسوي أمورك مع مواعيدك هذه كلها؟»

أجابت: «إنها حفلة عشاء فقط، وسأعود باكراً.»

ولم تكن حفلة العشاء امراً مهماً، ولكنها كانت، بالتأكيد، أكثر المناسبات التي تحضرها مع كلينت، مللاً. وبعد أن وقفت عشرين دقيقة تستمع بأدب إلى الحديث عن البضائع المخزنة، والسندات الحكومية، تمكنت من الهرب إلى إستراحة السيدات.

كانت الاستراحة مترفة متألقة كبقية غرف الفندق، ذات أرض رخامية ومرايا كبيرة وأمكنة للجلوس ذات كراسي مريحة. وجلست أمام المرآة وأخرجت قلم أحمر الشفاه. ولكن قبل أن تتاح لها الفرصة لتضع منه على شفتيها، فتح الباب ودخلت منه سيدة.

كانت المرأة هي آن، وكانت ترتدي ثوباً أسود وعقداً من الماس له برودة عينيها.

خفضت اوليفيا يدها وهي تتمنى أن تحافظ على السكينة ورباطة الجأش.

قالت آن: «لقد رأيتك وأنت تدخلين الاستراحة. انني أريد أن أوجه إليك كلمة.»

رفعت اوليفيا قلم أحمر الشفاه إلى شفتيها وهي تنظر إليها في المرآة قائلة ببساطة: «هيا، تكلمي.»

قالت آن: «أحب أن أوجه إليك نصيحة، أظن من الأفضل لك أن تدعي كلينت وشأنه. إنك، بهذا توفرين على نفسك الكثير من الحسرة.»

سألتها اوليفيا: «ولماذا؟»

أجابت: «إنه خارج عن سربك، يا فتاة.»

أومأت اوليفيا برأسها قائلة: «إنك محقة في هذا.» وأنهت وضع الصباغ على شفتيها، ثم أعادت القلم إلى حقيبتها المسائية لتتابع قائلة: «وأظنك تريدينه لنفسك؟»

فوجئت آن بذلك. فابتسمت اوليفيا قائلة: «ولكنني لا ألومك. فهو غني ووسيم وذو نفوذ وسلطة. وجذاب جداً.»

قالت آن وعيناها تلمعان: «استمعي إلي يا صاحبة المكائد. أتركيه وشأنه إذا كنت تدركين ما هو الصالح لك.»

تنهدت اوليفيا قائلة: «إنني أحاول ذلك، ولكنه لا يدعني أذهب. أتريدين الحقيقة يا آن؟ إنني لا أدري ما الذي يجده في شخصي. إذ ليس عندي ما أقدمه له. ليس لدي المال، ولا الخلفية اللامعة، ولا الشهرة.» وحملقت في آن متابعة: «ماذا تظنين السبب؟ أممكن أن يكون هذا حباً صادقاً؟»

تصلّب وجه آن بالعنف المكبوت وهي تقول: «أتظنين

نفسك ماهرة؟ ولكن إياك أن تخدعي نفسك لأنك ستندمين في النهاية.» ومن ثم، استدارت خارجة.

تبعتها اوليفيا بعد دقيقة واحدة، فنظرت حولها تفتش عن كلينت، ورأته واقفاً وقد وقفت آن إلى جانبه. فمشت إليهما، وابتسم لها كلينت وهو يقول: «كنت اتساءل أين عسى أن تكوني.»

ابتسمت له بحب، وقد رأت آن في الناحية الأخرى تراقبهما، ثم قالت: «لقد كنت في استراحة السيدات. وقد هاجمتني احدى المعجبات بك طالبة مني أن أدعك وشأنك. وذلك لصالحي، طبعاً.»

رفع حاجبيه الأسودين يسألها: «من هي تلك المرأة؟»

أجابت: «إنها إمرأة شقراء طويلة القامة وترتدي ثوباً اسود.» أدار رأسه نحو آن التي تجمدت كالصخر. وابتسمت اوليفيا قائلة: «آه، لا تغضب منها، يا كلينت، فهي لم تقصد أي ضرر. لقد قالت إنك من غير سربي، وان علي أن أجنّب نفسي الكثير من الحسرة. في الواقع أظنها على حق.»

نظر كلينت إلى آن وقد تجلت البرودة على ملامحه، وهو يقول بأدب متكلف: «إنني شاكر لك اهتمامك باوليفيا، ولكنك تنالين حظوة عندي وعند غيري اكثر مما لك الآن لو أنك التزمت شؤونك الخاصة.»

تمالكت آن نفسها، لتقول: «إنني أعتذر إذا كنت سببت لك بذلك أي استياء. والآن، استأذن بالذهاب، فهناك شخص أريد أن أتحدث إليه. إلى اللقاء.»

وأطلقت اوليفيا نفساً طويلاً. وتأملها كلينت فترة، ثم هز رأسه قائلاً: «يا للهول، يا اوليفيا. لقد جعلت لنفسك عدوة.»

قالت: «لقد كانت عدوتي منذ اليوم الأول الذي عرفتها فيه، ولا أظنها العدوة الوحيدة. لقد أردتني ان أبعد عنك. حسناً، انها وظيفة كريهة.» ونظرت إليه وقطبت جبينها وهي تتابع قائلة: «أتعلم أن هذا جعل في شخصيتي ناحية سيئة لا أحبها؟»

وشعت عيناه دفئاً وهو ينظر إليها، ثم قال: «حسناً، انك تعجبينني كما أنت، وبكل نواحيك السيئة، تعالي لنشرب بعض المرطبات بعد ذلك المشهد الصغير.»

شعرت بالارتياح حين أخبرها كلينت، بعد ذلك بساعة، ان وقت ذهابهما قد حان.

قال لها بعد أن استقرا في الفيراري: «لم أرك تزاولين أي نشاط.»

أجابت بمرح: «حسناً، إن لهذا سبباً وجيهاً.»

نظر إليها من جانب عينه بسرعة وهو يقول: «نعم، هذا صحيح.» وانتقى شريطاً موسيقياً وضعه في المسجل، لتنبعث منه الموسيقى الرقيقة تملأ الجو. وقالت: «كلينت؟»

أجاب: «نعم.»

ارتفعت نبضات قلبها بعصبية وهي تقول: «لِمَ لا تريد أن تتكلم عن نفسك؟»

هز كتفيه قائلاً: «إنني لا أجد نفسي موضوعاً يستدعي الاهتمام بشكل خاص، لكي يستحق الحديث عنه.»

عضت شفتها قائلة: «إنني أريد أن أعرف عنك المزيد.»

قال: «ولماذا؟»

شعرت بمعارضته، وبشيء لا يكاد يكون محسوساً من الحذر، وقد ضاقت عيناه.

قالت: «إننا نتكلم دوماً عن نفسي، ولكنك لا تتكلم مطلقاً عن نفسك. عن مشاعرك، ما هي أحلامك؟ ما الذي يجعلك سعيداً؟ هذا شيء طبيعي بين الناس. أليس كذلك؟ إننا نتحدث عن انفسنا ليعرف بعضنا البعض.»

قال بهدوء: «إنك لست بحاجة إلى أن تعرفيني، يا اوليفيا.»

حدقت إليه، إلى وجهه الذي لم يكن سوى قناع مهذب. وكان الألم الذي شعرت به من العمق بحيث أخذت تغالب دموعها.

في اليوم التالي، وكانت الساعة الخامسة، مرت بها سيليا مرة أخرى، وقد امتلأت سيارتها بهبة من الأطعمة. ووضعتا كل شيء على الرفوف في الغرفة الخاصة بمؤسسة ميرسي. بينما كانت سيليا تتحدث بابتهاج عن مريض جديد أجريت له عملية استئصال الزائدة الدودية، وكان وسيماً ظريفاً وعازباً، كما أنه صاحب مدرسة واسعة لتعليم ركوب الخيل، ويبدو أنه تأثر بحنان وعناية سيليا أثناء مرضه ما جعله يعدها بأن يعلمها ركوب الخيل حالما يتمكن من ذلك. وقالت سيليا بأنها كانت دوماً تتمنى لو تتعلم ركوب الخيل، وهذا كان خبراً جديداً على اوليفيا، ولكن الحكمة منعتها من أن تعلق على كلامها. فقد جعلتها حماسة سيليا تشعر بالسعادة.

وعندما انتهيا من نقل المعلبات بأجمعها، جلستا في المطبخ تنجزان الأوراق الرسمية، وتتحدثان عن الأسر المحتاجة.

كانتا على وشك الانتهاء، عندما رن جرس الهاتف. وكان

المتكلم هو فرانك توبس. وكانت اوليفيا قد قابلته عدة مرات في نيويورك، كما تناولت معه القهوة، ذات مرة.

وقال: «انني أقوم بعمل جزئي في مطاعم تايلاندية وفييتنامية، وعلي أن أعطي رأيي في مطعم جديد في واينبرغ، ولا أدري إذا كنت توافقين أن تأتي معي لتعطيني رأيك في الطعام. إنني أعلم أنني أدعوك في آخر لحظة مرة أخرى، ولكن هذه هي حياتي. كل شيء في آخر لحظة.»

ضحكت اوليفيا قائلة: «حسناً، الحقيقة أنني أتشوق إلى تذوق ذلك، فكيف أرفض؟»

قال: «هذا عظيم، سآتي لأخذك الساعة السابعة إذن.»

عندما وضعت اوليفيا السماعة، قالت لسيليا: «احزري من هو؟ إنه فرانك توبس. وسنخرج لنأكل طعاماً تايلاندياً.»

جمعت سيليا الأوراق وهي تقول: «إنك محظوظة، أما أنا فعلي أن أذهب إلى بيتي لأغسل ثوب التمريض.» وحملت معطفها وحقيبتها، ثم احتضنت اوليفيا بسرعة وهي تقول: «أتمنى لك وقتاً بهيجاً، يا اوليفيا.»

كان المطعم الذي أخذها إليه فرانك صغيراً متواضعاً، وكانت رائحة الطعام شهية بما احتوته من توابل مألوفة وغير مألوفة.

وعندما ألقت اوليفيا نظرة على قائمة الطعام، قالت: «الأفضل أن تطلب طعاماً لنا نحن الاثنين، فأنا لست خبيرة بالطعام التايلندي... فقد سبق وذقته مرة واحدة فقط، فلا تأخذ برأيي في أي شيء.»

قال: «ماذا تريدين أن تشربي معه؟ كاكاو أم شاي؟»

فقالت: «شاي، من فضلك.»

كان الحساء لذيذاً بالتوابل التي فيه، ومليئاً بالقريدس. وكانا يتحدثان أثناء الطعام. وقد استمتعت بالحديث العفوي قدر استمتاعها بالطعام. وفي فترة عشرين دقيقة، كانت قد كونت صورة واضحة عن خلفية فرانك... أسرته، الأحداث السيئة التي مرت عليه أثناء طفولته. مهنته. في عشرين دقيقة، علمت اوليفيا عنه اكثر مما كانت ستعلم عن كلينت في أيام.

قال بلهجة عفوية وهو يحدق في طبقه: «سمعت أنه كان هناك اجتماع سري بين مورغان وستاربيرد.»

فأجابت بمرح: «أخشى أنني لا أتعقب آثار مواعيده.» وكانت تعرف جيداً كيف تجيب على سؤال ما، دون أن تفصح عن شيء.

وتفرس فرانك في وجهها، قائلاً: «أرجو ألاّ يكون لدى كلينت أي مانع في تناولنا العشاء معاً.»

أجابت: «لا أدري لماذا عليه أن يمانع.» وتجاوبت في مسامعها كلمات كلينت (انك لست بحاجة إلى أن تعرفيني، يا اوليفيا.» وتناولت واحدة من القريدس وهي تقول: «إن هذا الطعام لذيذ حقاً، ألا تظن ذلك؟»

أجاب وهو ينظر إليها بامعان: «نعم، إنه كذلك. ماذا حدث لجانيت؟»

جانيت؟ لقد سبق وسمعت هذا الاسم يتردد عدة مرات وقد استنتجت اوليفيا من ذلك أن تلك المرأة لا بد أن لها علاقة بكلينت، ولكن كلينت لم يتحدث عنها قط، ولهذا، لم يكن لديها فكرة عما حدث.

قالت: «لا أدري.»

قطب فرانك جبينه، وهو يسرح لحيته، قائلاً: «إنني آسف، ما كان لي أن آتي على ذكرها.»

قالت: «ولمَ لا؟ ومن تكون هي؟»

نظر إليها باستغراب، ثم قال: «يدهشني أن لا تعرفي. فقد كانت مع كلينت فترة طويلة. وقد سافرت إلى اوروبا منذ عدة أشهر، ولكن لم يسمع أحد عن انفصام علاقتهما.»

وشعرت بضيق في صدرها، فقالت: «ليس لدي فكرة، فهو لم يأت على ذكرها.»

ابتسم فرانك قائلاً وهو يفرك لحيته: «لا بد أنه نبذها، بحذر طبعاً، فهو بالغ الحذر إلى حد بعيد. دعيني اسكب لك مزيداً من الشاي.»

وبعدما انتهى الطعام، أعادها إلى البيت، وحالما ذهب اتصلت سيليا هاتفياً باوليفيا التي قالت لها: «إنني أحذرك، فأنا متعبة ومتخمة بالطعام اللذيذ. فاياك وقصص الكوارث.»

ضحكت سيليا قائلة: «لا يوجد أخبار من جهة ميرسي. وانما أردت فقط أن اعلم إن كنت قد أمضيت مع فرانك وقتاً ساراً.»

قالت اوليفيا: «لا أراك فضولية. أليس كذلك؟»

أجابت مازحة بصوت متذمر: «أنا؟ طبعاً لا. إنني فقط أريد أن أتأكد من أنك كنت بخير وأنه عاملك معاملة طيبة.»

أجابت: «لقد فعل ذلك، وكان سخياً باطعامي.»

قالت سيليا: «إذن، كيف مرت بك الأمسية؟»

أجابت: «كانت حسنة جداً. وقد أمضينا وقتاً طيباً. إنه شاب ظريف، يعرف الكثير من القصص المضحكة، ومن السهل تبادل الحديث معه.»

سألتها: «هل هذا كل شيء؟»

أجابت وهي تنقل السماعة إلى الأذن الأخرى: «يبدو من صوتك أنك تشعرين بخيبة أمل، أم أنني مخطئة؟ أم تراك مشتاقة إلى أن تريني أقع في غرام رجل آخر؟»

تنهدت سيليا قائلة: «أوه، يا اوليفيا، هذا صحيح، أريد لك رجلاً عادياً، طيباً ومسالماً.»

لم تستطع اوليفيا مغالبة ضحكها وهي تجيبها قائلة: «تعنين رجلاً واضحاً مملاً كما تتمنين لنفسك، أليس كذلك؟»

أجابت: «لا بأس. لا بأس، انك تعرفين ماذا أقصد.»

قالت: «انني أعرف ماذا تقصدين.»

قالت سيليا: «لقد اتصل بي هاتفياً، أعني كلينت، ليسألني عما إذا كنت عندي.»

سألتها اوليفيا: «وماذا قلت له؟»

أجابت سيليا: «قلت له انك مدعوة إلى العشاء، وقد تتأخرين في الخارج.» وكان صوت سيليا مغتبطاً وهي تتكلم.

قالت اوليفيا: «آه منك يا سيليا، ولكن هذا لن ينفعك ما دام ما فعلت لا يتعارض مع برنامجه الثمين. ان كلينت لن يهتم ولو كنت مع أمير موناكو.»

قالت سيليا: «أرجو أن تبقى الأمور بينكما بهذا الشكل، ففي هذا فقط خلاصك.»

تأوهت اوليفيا قائلة: «سيليا.»

قالت سيليا: «لا بأس. لا بأس. سأتركك الآن لكي تذهبي للنوم. فتنهضين باكراً لترويض صغارك.»

ولكن اوليفيا لم تكن متعبة. وبعد أن ألقت تحية المساء على سيليا، جلست أمام التلفزيون، ثم أخذت تحوك كنزة كلينت. ربما أرادها لمجرد ملء الفراغ الذي احدثه غياب جانيت لعدة اشهر. وتجاوبت في مسامعها كلماته «انك لست بحاجة إلى ان تعرفيني، يا اوليفيا.»

فجأة، لم تعد تستطيع رؤية ما كانت تحوك. فقد غامت الألوان أمام ناظريها اللذين غشاهما الدمع.

لم تكن الأمور تجري كما يجب. إذ في كل مرة كان يبدو أن المسافة بينهما تتضاءل، يحدث ما يجعله يتراجع. انها ليست مخيلتها التي جعلته يبدو اكثر انفتاحاً أحياناً. ولكن هذا لم يكن يدوم أبداً. إذ أنه سرعان ما يبعدها عنه مرة أخرى.

وتمتمت: آه يا كلينت، يا ليتني لم أعرفك قط.

اتصل بها في اليوم التالي ليقول لها بأن السيارة الفيراري ستأتيها بعد ظهر الجمعة مبكرة نصف ساعة، لأنهم سيكونون بحاجة إليها في الذهاب إلى المطار الوطني لاستقبال أحد أصدقاء العمل لكلينت.

وقال: «حاولت الاتصال بك ليلة أمس، وفهمت أنك كنت تتناولين عشاءك في الخارج.»

أجابت: «هذا صحيح، لقد كنت مع كاتب، انه يكتب عن شؤون التغذية.»

قال بشكل مفاجيء: «فهمت.»

سألته: «هل ثمة شيء خطأ؟»

أجاب: «كلا. سأراك إذن نهار الجمعة.» وأقفل الهاتف.

لم تكن المحادثة قد استغرقت اكثر من دقيقة ونصف. كانت عبارة عن تغيير بسيط في نوع العمل كان يمكن أن يقوم به أي سكرتير أو حتى خادم صغير او آلان، ولكنه يتصل بنفسه دوماً. وتساءلت عما تراه يكون السبب. ذلك أنه يبدو، عندما يتحدث اليها هاتفياً، يبدو دوماً في عجلة من امره، وكأن ليس لديه الوقت ليتحدث إليها.

مساء الجمعة، جاءت الفيراري حسب الاتفاق، حيث أخذتها إلى كلينت وحيث سرها أن كان لديها من الوقت ما يكفي لأن تغتسل وتغير ملابسها.

كانت، في الأيام الأخيرة، تتحدث باستمرار وبحيوية بالغة. ان مشاعرها نحو كلينت يجب أن لا تثبط من عزيمتها، وسواء كان لجانيت أثر في حياة كلينت أم لا، فهذا ليس من شأنها. وخلال أسبوعين، يجب أن ينتهي هذا الكابوس لكي تعود إلى حياتها السابقة، دون وجود كلينت ليدمر مشاعرها، أما الآن فهي ستستمتع بوقتها حسب امكانها.

جالت ببصرها حولها. كانت هناك ورود يانعة على منضدة الزينة. وفي غرفة الجلوس وكذلك في غرفة الطعام.

وشعرت بالالفة نحو هذه الغرفة ذات الزخارف الشرقية التي امضت فيها الليالي. لقد كانت شديدة الاختلاف عن غرفتها في بيتها بسريرها النحاسي القديم الطراز واللحاف الذي كانت صنعته جدتها، وكذلك المحتويات. فخزانة الثياب الواسعة هنا بمرآتها الكبيرة، تحتوي كل ملابسها للسهرة، والأحذية الأنيقة ذات الكعوب العالية. أما

في منزلها فخزانتها مليئة بتنانيرها الطويلة الدافئة، والألوان المشرقة، وبنطالات الجينز والكنزات السميكة. والأحذية التي تكسو القدم إلى الكاحل وكذلك الخفيفة منها.

انها ستكون الأميرة هذه الليلة، وستكون غاية في التألق والبهجة. أما غداً، عندما يوصلها آلان إلى البيت صباحاً، فعليها أن تغسل الثياب وتقطع الأخشاب وتأخذ الطعام إلى سيدة عجوز تعيش بمفردها وتعشق الخوض في الحديث عن الأيام القديمة.

وفكرت في أنها تسير في حياة مزدوجة. وابتسمت. إنها حقاً تحيا حياة خفية غير عادية.

ألقت نظرة أخيرة على نفسها في المرآة وهي تمر بيدها على ثوبها. كان ثوباً جميلاً من الحرير العسلي اللون يتمشى مع لون عينيها. وقد رفعت شعرها عالياً فوق رأسها، ووضعت في أذنيها قرطين ماسيين أخذتهما من علبة المجوهرات المخملية الموضوعة على منضدة الزينة.

ورفعت رأسها تلقي نظرة أخيرة على نفسها في المرآة، ثم استدارت على عقبيها لتسير نحو الباب بخطوات راقصة، حيث اتجهت إلى المطبخ، مارة بجانب غرفة الجلوس، وابتسمت لها السيدة نيلسون وهي تقول: «ادخلي وأريني ثوبك. إنك تبدين رائعة الجمال.»

أجابت: «شكراً.»

قالت السيدة نيلسون: «إن السيد مورغان في غرفة الجلوس. إنني أعرف أنك جئت اليوم مبكرة. ما رأيك في شراب وشيء خفيف تأكلينه؟»

أجابت اوليفيا: «ما أحسن هذا. أود تناول فنجان من القهوة، إذا لم يكن في ذلك إزعاج لك.»

أجابت: «كلا، طبعاً.» ولم يكن أيّ شيء يمثل مشكلة بالنسبة إلى السيدة نيلسون، وكانت اوليفيا تحبها فهي أليفة وتحب الثرثرة. وكان هذا مقبولاً أثناء تناول اوليفيا إفطارها عند الصباح، حينما يكون كلينت في أغلب الأوقات قد ترك المنزل في الوقت الذي تنهض هي فيه من فراشها. ذلك أن هذا الرجل لم يكن ليضيّع وقته حتى في صباح السبت الذي كان يعتبره يوماً مناسباً للعمل، هو أيضاً.

دخلت اوليفيا غرفة الجلوس، لتجد كلينت مرتدياً بذلة قاتمة وهو يتكلم في هاتف جيب. وكان ظهره إليها فأخذت تتأمل جسمه الضامر وكتفيه العريضتين، ووقفته الممشوقة. وشعرت وهي تنظر إليه، بانقباض في قلبها واستدار هو فجأة، وكأنه شعر بنظراتها المنصبة عليه وشملها بنظره وهو ما زال يتكلم في الهاتف. وما لبث أن قطع المكالمة، واضعاً الهاتف على المنضدة بجانبه.

قال لها: «إن هذا الزي الذي ترتدينه بالغ الروعة، يا اوليفيا.»

وتوثب قلبها بهجة وهي تسمع كلماته. فانحنت احتراماً، وقالت: «أشكرك يا سيدي.» ومع أنها كانت تبدي المزاح بهذا الجواب، إلا ان مجاملته تلك ملأت قلبها سروراً ما لم تشأ أن تظهره.

جلس في مقعد كبير، ثم تناول ملفاً سميكاً وهو يقول: «سأنتهي من هذا الملف في غضون دقائق.»

قالت: «ليس ثمة مشكلة، طبعاً.» ومشت نحو النافذة

تتأمل منظر النهر المعتم لحظة ثم استدارت عندما سمعت صوت دخول السيدة نيلسون حاملة صينية القهوة. ونظرت اوليفيا إلى رأس كلينت المنحني على الأوراق، وهي تشعر بالألم في أعماقها. أتراه يحب امرأة أخرى؟ هل هو يحب جانيت؟ لماذا تشعر به متلهفاً عليها إذن، وعادت كلماته تتجاوب في مسامعها (إنك لست بحاجة إلى أن تعرفيني، يا اوليفيا) وانقبضت نفسها. إنها لا تفهم شيئاً.

وتهالكت على الأريكة بجانب كرسيه، مصممة على ألا تدع الاكتئاب يسيطر عليها، وهي تقول له: «هل أسكب لك فنجان قهوة؟ يوجد على الصينية فنجانين وإناء أسود يحتوي على قهوة حديثة الصنع.»

أشار إلى كوب صغير بجانبه، قائلاً: «إنني أحتسي بعض العصير حالياً.»

سكبت القهوة وهي تقول: «إنني بحاجة إلى أن أسألك عن بعض الأشياء. لقد ذكر البعض أمامي جانيت ويبدو أنهم يظنون أنني أعلم شيئاً عنها، وهذا ليس صحيحاً.» ووضعت إناء القهوة من يدها، ثم نظرت إليه وقلبها يخفق بعنف، ثم تابعت تقول: «هل هنالك شيء معينّ تريد مني أن أقوله عندما يسألونني عنها؟»

ولكن وجهه كان جامد الملامح وهو يردّ عليها قائلاً: «كلا.»

عادت تقول: «يبدو أن كل شخص يعرفها وهم يتساءلون عما إذا كنتما قد أنهيتما العلاقة بينكما، أم أنها تمضي فقط فترة من الوقت في أوروبا وستعود بعدها.»

أجاب: «إن مطحنة الشائعات والثرثرة ستستمر في العمل

مهما كان نوع الجواب. كما أن شؤوني الخاصة ليست من شأن أحد. ألا توافقينني على ذلك؟»

رشفت قهوتها وهي تقول: «طبعاً، ويسرني أن لا أدلي بأية معلومات. وأنا ماهرة في مثل هذا، في الحقيقة.»

أومأ برأسه قائلاً: «لقد سبق ولاحظت ذلك.»

شربت قهوتها بينما عاد هو إلى أوراقه وشرابه. إنها لم تستطع أن تستخلص جواباً تعرف منه الحقيقة. ومنعتها كبرياؤها من أن تعاود أسئلتها بهذا الشأن. وعلى كل حال، فإن أموره الخاصة ليست من اختصاصها، كما سبق وأوضح بكل جلاء. قد يكون حاول التسرية عنها عندما كانت تبكي وقد يكون مهتماً بها برغبة حقيقية ولكن هذا لا يمنحها الحق في أن توثّق علاقتها معه. وملأها هذا مرارة.

وبعد ذلك بعشر دقائق، كانا في طريقهما إلى أحد الفنادق الفخمة لحضور حفلة الاستقبال. وابتسمت اوليفيا وصافحت الآخرين وكلينت بقربها. وكان هو كعادته يبتسم لها ويقدمها إلى الآخرين ولا يدعها تغيب عن بصره لحظة واحدة.

كانت ليلة حافلة، ورغم بذلها الجهد البالغ في الاندماج مع الآخرين، فإن صوته ما برح في أذنيها وهو يقول: «إنك لست بحاجة إلى أن تعرفيني يا اوليفيا.» ولم تعد تستطيع احتمال الشعور بقربه منها فاغتنمت فرصة كان فيها مستغرقاً في حديث عن أحد أعماله، لتهرب بعيداً. وكانت قد تعلمت في الأسابيع الماضية، كيف تتهرب وتدور حول الموضوع، لم يكن من الضروري أن تتحدث كثيراً. كان كل

ما تحتاجه هو عدة أسئلة ذكية وليس عليها، بعد ذلك سوى أن تستمع.

وهكذا تمكنت من الهرب لتجد نفسها تخوض حديثاً مع أحد الأثرياء الاسيويين والذي كان أكثر حفاوة بها بشكل ملحوظ.

كانت تتكلم ضاحكة يغمرها السرور، عندما شعرت بكلينت قربها.

ألقى نظرة باردة على الرجل وهو يقول باقتضاب: «نرجو المعذرة.» ثم قاد اوليفيا بعيداً.

سألته وقد ساءها تحكمه بها بتلك الطريقة المتغطرسة: «هل هناك شيء خطأ؟»

أجاب: «كلا، وإنما فقط أريدك أن تكوني معي.»

قالت تحاول إغاظته: «لقد كنت مستمتعة بالحديث معه.»

أجاب: «آسف إذ قطعت عليكما محادثتكما المريحة تلك.»

ولم تكن لهجته تعبّر عن أقل ذرة من الأسف.

صرّت بأسنانها ولم تقل شيئاً.

وبعد فترة، لمحت فرانك قرب المقصف. ولم تكن تعلم أنه سيحضر هذه الحفلة. ولكنها لم تتحدث معه إلا بعد رجوعها من استراحة السيدات وذلك في ردهة الفندق. سألته باسمة: «ما الذي تفعله هنا؟ أتراك تعطي نصائح بالنسبة للأربيان؟»

ضحك قائلاً: «كلا، وإنما للفنادق وما يقدمونه من طعام في مناسبات كهذه.»

قالت: «يا لها من وظيفة.»

قال: «لا يوجد فيها لحظة واحدة مملة. والآن، كيف حال الفتى؟»

قالت: «الفتى؟ آه تعني كلينت.» وهزت كتفيها بعدم اكتراث وهي تتابع قائلة: «إنه يتحدث عن الأعمال كالعادة.» ورأت نظراته تتحوّل عنها إلى شيء خلف كتفها، ثم ما لبثت ابتسامته أن تلاشت، وهو يقول: «الأفضل أن أذهب الآن. سأراك فيما بعد، يا اوليفيا.» وفي اللحظة التالية كان قد استدار مبتعداً.

نظرت إليه وهو يبتعد وقد ساورها شيء من الدهشة لتركه المفاجيء لها، ثم هزت كتفيها دون اكتراث. واستدارت لتعود باحثة عن كلينت، لتجده واقفاً على بعد خطوات منها، ينظر إليها بوجه جامد الملامح وعينين تقدحان شرراً.

الفصل التاسع

سألها كلينت بصوت خشن: «هل كنت تتحدثين الآن إلى فرانك توبس؟»

أجابت: «هذا صحيح. هل ثمة شيء خطأ؟»

قال: «إمكثي بعيداً عنه. إنه رجل سيء.»

قالت ضاحكة: «إن بامكاني المحافظة على نفسي.»

قال: «هذا ما تظنينه أنت.»

فغرت فاها، ثم قالت: «انني سأتحدث معه ساعة أشاء، يا كلينت.»

حذرها قائلاً: «أريدك ان تمكثي بعيدة عنه. لقد انتهى النقاش.»

قالت: «آه، كلا. لم ينته النقاش بعد.»

ألقى عليها نظرة تحذير قائلاً: «إذن، سنناقش ذلك فيما بعد، إنما ليس هنا وليس الآن. والآن، ابتسمي، فسأقدمك إلى زعيم الاربيان في ماليزيا، فهو صديق شخصي لي فكوني لطيفة معه.»

صرّفت بأسنانها قائلة: «لا تخبرني متى عليّ أن ابتسم.»

تأوه ساخطاً وهو يقول: «لا داعي للثورة يا اوليفيا.»

ولكنها كانت مصممة على إظهار الثورة، الآن وفي هذا المكان. ومن يكون هو لكي يخبرها عمن ينبغي أن تكلمه أو لا تكلمه؟ ولكن تعقلها تغلب أخيراً، فنظرت إلى وجه كلينت مباشرة، ثم رسمت على شفتيها ابتسامة، كانت تعلم أنها

www.elromancia.com

ليست صادرة من قلبها، ولكنها كانت ابتسامة على كل حال، وعاد بها إلى غرفة الاستقبال. قالت بصوت منخفض: «انك إذن، تعلم أن هذه المناقشة لم تنته بعد.»

أجاب: «كما تشائين.»

حالما اغلق الباب وراءها، قالت وهي تلقي بشالها وحقيبة يدها على كرسي، وكان المكان هادئاً والسيدة نيلسون قد خرجت منذ ساعات، قالت بحدة: «اريد ان اتكلم.»

كان واقفاً قرب الباب فأجابها قائلاً: «هيا. تكلمي.»

قالت بلهجة متوترة: «ليس لك الحق في ان تتدخل في حياتي الخاصة، إذ ليس في الاتفاق الذي بيننا ما يشير إلى ذلك.»

قال بتوتر هو الآخر: «أثناء وجودك معي، في موسم الاجازات، فإن من الحماقة، إن لم يكن من الخطورة، بالنسبة إليك، ان تكوني برفقة توبس في أي وقت.»

حملقت به قائلة: «هذا لا يوضح شيئاً.»

نظر إليها بجمود وهو يقول بلهجة قاطعة: «ثمة اشياء لا استطيع شرحها لك، واكون شاكراً لك لو وضعت ثقتك بي وتقبلتها كما هي.»

أطبقت يديها بشدة وهي تقول: «كلا.»

قال بجزم وقد تجهم وجهه: «انني ادفع لك ثمانية آلاف دولار.»

صرّت بأسنانها قائلة: «انك لا تدفع لي، وانما أنت تقدم هبة لمؤسسة ميرسي وذلك كرماً منك لمساعدة أناس هم

أقل حظاً منك. وثمة عقد بيننا لا ينص على وجوب امتناعي عن التكلم مع أي شخص آخر. فإذا كان توقيت ذلك لا يتعارض مع برنامجك أو مناسباتك، فأنا لا أرى ضرراً...»

قاطعها: «حسناً، أنا أرى ضرراً في ذلك.»

اعتدلت في وقفتها ونظرت في عينيه مباشرة وهي تقول: «ان عدم اعطائي سبباً مناسباً، ليس من المعقول على الاطلاق. أريد أن اعلم ما الذي تأخذه عليه. فهو إنسان مهذب تماماً. وهو كاتب في شؤون التغذية ينشر مقالاته في الصحف. فما هو الخطأ في هذا؟»

تصلب جسمه من التوتر، وبان في عينيه غضب مفاجيء، فحدقت فيه اوليفيا بصمت. ما الذي قالته لكي يحدث عنده ردة الفعل العنيفة هذه.

خلع جاكتته، ثم ألقى بها على كرسي، وهو يقول ببرود: «إذن ففرانك هو الرجل الذي ذهبت معه إلى العشاء ليلة الثلاثاء.»

أجابت: «نعم.»

سألها: «ماذا قلت انه اخبرك عن نفسه؟»

أجابت: «قال إنه يكتب في شؤون التغذية للصحف.»

قال: «حسناً، إنه يكذب.»

شعرت بقلبها يغوص بين ضلوعها. وقالت: «هذا فظيع.»

قال: «فعلاً.»

سألته: «ولكن، إذا لم يكن كاتباً في التغذية، فمن هو إذن؟»

أجاب: «إنه كاتب فعلاً، ولكنه مخبر صحفي في شؤون المال. وأنا في وسط مفاوضات مالية حساسة. فإذا هو

اشتم رائحة ما، فسنكون قد وقعنا في مشكلة كبرى.»

رفعت اوليفيا حاجبيها قائلة: «اتعني بقولك هذا أنه قد يحصل على معلومات مني؟» وحدثت نفسها قائلة: «الويل لك يا فرانك. فقد كنت تستغلني.»

أجاب: «تماماً.»

لم تستطع أن تكتم ضحكها. هل كان غضبه العنيف ذاك، لهذا السبب؟ لأن من الممكن ان تعطي معلومات لفرانك؟

قالت له: «ولكنني لا اعرف شيئاً عن أي شيء، يا كلينت. فماذا بإمكاني أن اخبره؟ فأنت لا تحدثني بما تفعله. كما انني لا اعرف شيئاً عن اعمالك. انك تعلم هذا.»

قال: «لا يمكنني ان اكون حذراً بما فيه الكفاية.»

قالت: «ولكن هذه حماقة. فهو لا يستطيع أن يستخلص مني شيئاً ولو وضعني على خشبة التعذيب.»

ولكن وجهه كان صارماً عنيفاً وهو يقول: «اوليفيا، انني لا أريد، وأكرر، لا أريدك أن تريه أو تتكلمي معه مرة أخرى ما دمت معي.»

ضحكت بمرارة، وهي تجيبه قائلة: «اتعني بقولك هذا، أنه عندما يبتدىء شهر كانون الثاني، يناير، وهو موعد انتهاء العقد بيننا، فسأكون حرة في أن أخبره بكل اسرارك؟»

فحدق فيها وقد أطبق فكيه بعنف، لم تره قط بمثل هذا الغضب من قبل. ثم، ودون ان ينطق بكلمة، استدار على عقبيه، ثم غادر الغرفة بخطى واسعة.

عندما استيقظت اوليفيا صبيحة اليوم التالي، وكان الوقت متأخراً، ادركت ان كلينت لا بد قد ترك البيت منذ وقت

طويل، فارتدت معطفها، ثم خرجت تفتش عن السيدة نيلسون، وفنجان شاي، حيث وجدت ذلك في المطبخ، بطبيعة الحال.

وبينما كانت تحتسي الشاي القوي الذي اعدته لها السيدة نيلسون، أخذت هذه تحدثها عن ابنيها. كان احدهما قد تخرج حديثاً من كلية الطب، أما الثاني فكان يدرس الهندسة. أما تعليمهما فكان ينفق عليه كلينت. وقالت: «لا أدري ما الذي كنت سأفعل بدونه. عندما توفي زوجي...» وتنهدت وهي تتابع: «لقد كنا نأمل دوماً في أن يذهب ولدانا إلى الجامعة. وكنا نوفر كل قرش نستطيعه. ولكنني لم استطع القيام بالعمل بمفردي.» ووضعت قطعة أخرى من الكعك في صحن اوليفيا، التي شكرتها لذلك بينما تابعت تقول: «لقد قال ان هذا الأمر هو افضل الطرق لاستثمار امواله. قال ان استثمار الأموال في الناس هو دوماً افضل من استثمارها في الأشياء والشركات.»

قالت اوليفيا: «أحقاً؟»

أومأت هذه برأسها قائلة: «هذا ما قاله.»

وانهت اوليفيا تناول طعامها وهي تستوعب هذه المعلومات وفكرت في الميتم في إيف باركو الذي كانت باميلا اخبرتها عنه، والأطفال الذين اقبلوا إلى فيلادلفيا للعلاج الطبي. لم يخبرها كلينت عن ذلك قط. وتساءلت عما إذا كان هناك شيء آخر من هذا النوع قد قام به كلينت. الاستثمار في الناس. انها فكرة هامة حقاً.

واعادتها الفيراري إلى بيتها حيث امضت بقية الصباح تغسل اثوابها وتقطع الخشب، ومرت عليها سيليا بعد الظهر

وهي في طريقها إلى بيتها عائدة من السوق حيث اشترت اكياساً مليئة من هدايا العيد، شاءت أن تريها إياها. فقد كان عليها أن تبكر في الشراء واخوتها الخمسة، هناك عدد من ابناء الأخ والأخت، وكذلك اوليفيا كانت تشتري هدايا لكل شخص منهم. وكانت في غاية الشوق إلى قضاء ليلة العيد في ذلك البيت القائم في طرف المدينة، والشعور بأنها احد افراد تلك الأسرة.

وسألتها سيليا بعد أن أخرجت كل الهدايا من أكياسها ونشرتها لفصحها: «هل بقي عندك شيء من الشوكولاته؟»

أجابت اوليفيا: «هل ظننت أنني اكلتها جميعاً وحدي؟»

قالت سيليا: «لا أعلم. كيف كانت حفلة الاستقبال ليلة أمس؟ هل قابلت أناساً ذوي أهمية؟»

وضعت اوليفيا علبة الشوكولاته على المنضدة وهي تقول: «اسمعي ماذا حدث. كان فرانك توبس هناك، وعندما رآني كلينت اتكلم معه، اصيب بنوبة عصبية.» وسردت عليها اوليفيا تفاصيل ما حدث الليلة الفائتة.

قالت سيليا مفكرة وهي تأكل حبة شيكولاته ثانية: «هذا غريب جداً. اتعرفين ماذا يبدو هذا في نظري؟ إنه يغار.»

قالت اوليفيا: «يغار؟ ما هذا يا سيليا؟ ظننتك اكثر ذكاء.»

سألتها سيليا: «هل عندك تفسير آخر؟»

أجابت: «لا بد أن يكون ثمة سبب.»

قالت سيليا: «حسناً، لا يمكن أبداً ان يكون السبب هو الذي قال لك عنه، كما تعلمين فمن الحماقة التفكير في أن من الممكن أن تفشي اسرار كلينت بينما هو لا يسلمك اسراره مطلقاً. فلماذا يتصرف بهذا الشكل؟ هذا مضحك.»

قالت اوليفيا: «ولكن فكرة ان يكون غيوراً هي مضحكة أيضاً.»

قالت سيليا: «وهل من العجيب أن يقع في غرامك؟»

أجابت: «انه لا يريد التورط في أمور كهذه، حالياً، كما أنه ربما كان في انتظار عودة جانيت تلك. حتى ولو انفصمت العلاقة بينهما، فهو سيجد الكثيرات ممن يناسبنه اكثر مني.» وتنهدت قائلة وهي تلوح بيدها: «دعينا من ذلك الآن.»

بعد رحيل سيليا، نظرت اوليفيا إلى ساعة الحائط. ان آلان سيصل بعد ثلث ساعة ليأخذها إلى بيت كلينت.

قالت بعد ذلك بعدة ساعات: «لا استطيع ان افهم. ان هذا المكان هو كينيدي سنتر.»

ابتسم كلينت قائلاً: «نعم. هذا صحيح. لقد تغيرت الخطة.»

قالت: «انك لم تخبرني.» وفتح آلان باب السيارة لها فخرجت منها وهي تجمع بيديها اذيال تنورتها الحريرية الطويلة لكي لا تتعثر بها.

تبعها متجهاً بها إلى الداخل، وهو يقول: «لقد جعلتها مفاجأة.» كان المكان يموج بالنساء الرافلات في ملابس السهرة المتألقة والمجوهرات المتلألئة والرجال في بذلاتهم السوداء وربطات العنق البابيون.

سألته: «ما هي المفاجأة؟»

أجاب: «انها فرقة باليه تقدم أجمل لوحاتها. وهذه هي ليلة الافتتاح، والحضور بدعوة فقط.»

قالت وقد تملكتها الاشارة: «آه يا كلينت. ما أروع هذا.»

ابتسم لها قائلاً: «انني مسرور لاعجابك بها.»

نظرت حولها قائلة: «انني أعشق الباليه. هل علينا أن نقابل الناس؟ اعني، هل يشكل هذا التزاماً اجتماعياً بالنسبة إليك؟»

أجاب: «ليس ثمة التزام وإنما نحن الاثنين فقط، فقد سبق واخبرتني انك درست فن الباليه سنوات عديدة، ولهذا فكرت في انك قد تبتهجين بحضور هذه الحفلة.»

بان الامتنان على ملامحها وهي تقول: «أوه، يا كلينت. انه شيء في منتهى الجمال.»

وهذا ما كان عليه العرض في كل دقيقة من تلك الحكاية الخرافية، التي اغرقتها بالبهجة، ونقلتها إلى عالم الأحلام. رأت نفسها في حلم... حلم لم يتركها حتى بعد رجوعها إلى الفيراري.

قالت لكلينت وقد بدا السرور واضحاً على وجهها: «اشكرك... اشكرك. فهذه كانت اجمل ليلة مرت عليّ في حياتي.»

وعندما وصلا سألته: «لماذا فكرت في دعوتي لحضور حفلة الباليه تلك؟»

أجاب: «أردتك أن تمضي ليلة حسب رغبتك.»

وسرى الدفء في أوصالها. ونظرت إليه تريد أن تقول شيئاً... شيئاً هو غير كلمة الشكر البسيطة المعتادة.

وتقدمت نحوه قائلة: «اشكرك.»

وتشابكت نظراتهما. وساد الصمت، وأرادت ان تقول شيئاً، ولكن لسانها لم يتحرك. لم يكن ثمة حاجة للكلمات. ذلك ان بأمكانه ان يدرك مشاعرها من الطريقة التي كانت

تنظر بها إليه. وقالت وهي ترتجف محاولة اظهار عدم الاهتمام: «اظنني بالغت في التعبير عن شكري.»

أجاب: «وهل تريننني شكوت من هذا؟»

قالت: «كلينت، انني...» وابتلعت بقية الكلمات، كانت تريد أن تقول إنها تعرف أنه لا يريدها أن تعرفه. ولكنها رأت ذلك البريق الدافىء في عينيه، والبسمة على شفتيه، وهو يهمس قائلاً: «لقد كنت في انتظارك، يا اوليفيا.»

www.elromancia.com

الفصل العاشر

رددت اوليفيا كلماته ذاهلة: «كنت في انتظاري؟» ولم تستطع أن تفكر.

قال: «لقد سبق واعطيتك عهداً. وأنا لا أنقض عهودي مهما كان ندمي لاعطائها.»

سألته: «عهد؟ ما هو...؟»

قاطعها: «العهد الذي جعلتني اكتبه لك والذي يقول إن العقد الذي بيننا لا تدخل فيه علاقات عاطفية.»

قالت: «آه، نعم. لقد كنت تريدني للمرافقة.»

ضحك قائلاً: «لم يكن أمامي سوى أن اعطيك العهد الذي طلبته مني كتابة على الورق. فأنت لم تكوني تعرفينني، وطبعاً لم يكن لك ثقة بي. ولم تكوني تلاحقينني لأجل نقودي بالطبع، وإلا لما طلبت مني أن اكتب لك ذلك التعهد.»

كانت تريد ان تحمي نفسها، في ذلك الحين. ولكن كل شيء قد تغير الآن. ذلك أنها، رغم كل شيء، قد وقعت في غرامه. في غرام ذلك الدفء الكامن خلف ابتسامته، وذلك الشوق في عينيه. لقد احتل افكارها واحلامها. وهي الآن تريد، اكثر من أي شيء آخر، الرجل الحقيقي المتواري وراء تلك الصورة المتألقة للثروة والسلطة.

سألها بلهجة هادئة: «اخبريني عما تريدين يا اوليفيا.»

ولكنه كان يعلم تماماً ماذا تريد. لم يكن ثمة شيء لا يستطيع ان يعرفه. وكانت هي قد استكانت إليه مطلقة العنان

لمشاعرها التي طال كبتها، ربما ما كان لها أن تقوم بذلك. ربما ما كان لها أن تقع في حبه. حب هذا الرجل الذي يخفي الكثير من شخصيته خلف ذلك القناع البارد المتزمت، هذا الرجل الذي سبق وآذاها بكلماته. ولكنها مع كل ذلك، تحبه.

قال لها بصوت منخفض خشن: «تكلمي يا اوليفيا. لا يمكنني ان استمر واقفاً هكذا. اخبريني... اخبريني انك تحبينني.»

همست تقول: «انني احبك...»

قال: «لم يسبق لي أن احببت امرأة بالقدر الذي احببتك فيه. انك جميلة ورائعة ودافئة العواطف. لقد جعلتني اجن بك، بعينيك الذهبيتين هاتين المليئتين بالدعابة.»

قالت له: «انك تمنح مئات الألوف من الدولارات لعلاج الأيتام المرضى من ميتم إيف باركو ولتعليم ولدي السيدة نيلسون، والآن تدفع لمؤسسة ميرسي واعتقد انه مازال هناك الكثير لم اعرف عنه بعد.» وشعرت بقلبها يخفق لقولها هذا، ولكنها لم تستطع الامتناع عن ذلك.

قطب كلينت جبينه قائلاً: «من أين علمت بكل هذا؟»

أجابت: «لا تنكر هذا يا كلينت، فهو حديث الناس.»

هز كتفيه قائلاً: «حسناً، انها لا تخرج عن كونها نقوداً.»

قالت: «من السهل عليك قول هذا عندما يكون عندك الكثير من المال، ولكنها تعني للناس الذين تمنحهم إياها، تعني لهم كل شيء. انك تجعل لأموالك قيمة ما، إذ لا احد يرغمك على منحها للآخرين.»

ابتسم لها وهو يقول: «هل بالامكان تغيير الموضوع؟»

ابتسمت قائلة: «طبعاً، ولكن دعنا نرى ماذا يمكننا

التحدث عنه. اخبرني، أي شيء كنت تحبه اكثر عندما كنت صغيراً؟»

أجاب: «الذهاب إلى صيد السمك مع أبي، بمفردنا، كان هذا يجعلني اشعر بأنني بالغ الأهمية.» وارتسمت على شفتيه ابتسامة انطوت على حزن دفين.

فعادت تسأله: «هل كنتما تخرجان لذلك كثيراً؟»

أجاب: «كلا. بل كنا نخرج احياناً، إلى أن تطلق والداي. إذ أنني بعد ذلك، لم أكد أراه. وعندما كنت اذهب لرؤيته، كان دوماً مشغولاً.»

سألته: «لا بد انك كنت تشعر بالهجران.»

بان الجمود على وجهه. وخمدت نظراته، ثم هز كتفيه قائلاً: «هذه هي الحياة.»

وشعرت به ينسحب بمشاعره وكأنها تسمع باباً يقفل، ولكن، ربما ليس هذا انسحاباً منها هي، ربما كان ينسحب من نفسه. من ذلك الجزء من نفسه الذي جرح منذ كان طفلاً.

وسألته: «وماذا بالنسبة إلى أمك. هل عشت معها؟»

أطلق ضحكة ساخرة وقال: «لقد ارسلتني إلى مدرسة داخلية. فقد كانت هي أيضاً مشغولة جداً... خصوصاً في التفتيش عن ازواج جدد.»

لم تكن بحاجة إلى ذكاء كثير لكي تتصور ما نوع طفولته التي كانت عبارة عن وسائل راحة مادية، وقليل من الحب. ما اكثر الاختلاف بين حياته تلك وحياتها هي.

ابتسمت له وهي تسأله ببساطة: «ما أكثر شيء كنت تتمناه في طفولتك.» التوى فمه بابتسامة وهو يقول: «أسرة طبيعية مع أخوين، وكلب، وطائرة خاصة لي.»

سألته: «دون اخوات؟»

أجاب وقد بدت الآن في صوته دعابة: «هل تمزحين؟ ان البنات غبيات يلعبن دوماً بالدمى. وإذا دفعهن أحد، يصرخن باكيات.»

قالت: «آه، طبعاً... ما أشد غبائي إذ انسى هذا، هل هذا هو السبب في انك لم تتزوج؟ لأن البنات غبيات ويصرخن باكيات عندما يدفعهن أحد؟»

ضحك وهو يقول: «انني لا أتصور نفسي في علاقة طويلة الأمد. كزوج وأب. لم أفكر في ذلك مطلقاً. ومع كل المخاطرات التي أزاولها في حياتي، فإن تلك المخاطرة ليست لي.»

ومازال هناك العديد من الأسئلة، ولكنها خافت إن هي ألحت عليه، ان ينسحب منها مرة اخرى. فلم تشأ ان تستمر.

حنى رأسه وهو يقول: «اقضي العيد معي.»

قالت: «ولكنني مدعوة لقضاء العيد مع أسرة سيليا.»

قال: «اخبريهم انك قررت خطة اخرى.»

بقيت صامتة تفكر في ذلك البيت الكبير المزدحم، واكثرهم تعرفهم منذ كانت في الخامسة من عمرها. فكرت في تلك الغرفة المستقلة على السطح التي كانت تنام فيها مع سيليا ومجموعة من ابناء اخوتها الصغار. فكرت في كل البهجة والدفء والضحك أيام العيد في منزل أسرة سيليا.

استقام هو في وقفته قائلاً وهو يتخلل شعره بأصابعه: «انني آسف. لا يحق لي أن اطلب ذلك. انسي كل شيء قلته لك. سأذهب لأرى ان كنت استطيع استعمال جهاز صنع القهوة لأعد الفطور.»

تبعته قائلة: «سأساعدك في ذلك.»

قال: «الا تثقين بي وحدي في المطبخ؟»

ضحكت قائلة: «ولا دقيقة واحدة.»

وكان ذلك يوم الأحد والسيدة نيلسون غائبة. فجهزا بيضاً مقلياً وصنعا خبزاً محمصاً. وران عليهما جو عائلي وهي تتناول الافطار مع كلينت الذي كان اثناء ذلك، يقلب صفحات صحيفة الأحد ويتحدث عن آخر الأنباء والقصص في تلك الصحيفة.

كان هذا ما تريد وليس تلك الحياة المتألقة المصطنعة التي كانت تشاركه إياها في تلك الليالي خارج المنزل. كانت تريد رجلاً تشاركه أبسط شؤون الحياة. كانت تريد رجلاً تنتمي إليه.

ووضع الصحيفة قائلاً: «اتريدين المزيد من القهوة؟»

أجابت: «نعم. من فضلك.»

واخذت تنظر إليه يملأ الفنجانين ثم قالت: «أحب أن أمضي العيد معك.»

نظر إليها بدهشة ثم قال: «ما كان لي أن اطلب منك ذلك.»

قالت: «ولكنك فعلت.»

ناولها كوب القهوة قائلاً: «ولكنك سبق وخططت لذلك، يا اوليفيا.»

قالت: «هل تريدنا أن نمضي العيد معاً؟»

أجاب: «نعم، ولكن ما الذي تريدينه أنت؟» وتعلقت عيناه بعينيها فشعرت بقلبها يثب من موضعه. وقالت: «أريد ان أكون معك.»

قال: «فليكن إذن.»

قالت: «ولكن هناك شرطاً واحداً. انني لا أريد أن أذهب إلى أي فندق لأحتفل بعشاء العيد بين الناس. فأنا سأقوم بطبخه وسنتناوله هنا معاً.»

مساء الثلاثاء، أخذ المتطوعون في شركة ميرسي، يجمعون الأغذية مرة أخرى، للأسر المحتاجة في المنطقة، وقد انغمست اوليفيا في العمل منذ ابتدأت عطلة العيد في المدرسة. فكانت تنظم المتطوعين وتفرز انواع المعلبات والصناديق. كانت متعبة، وكان هذا النهار هو آخر أيام المدرسة قبل العطلة، فكان الاطفال، لهذا في منتهى القلق والإثارة.

وكان فرانك قد اتصل بها في الليلة السابقة ليخبرها بأن امراً مفاجئاً قد صدر بنقله إلى باريس في تخصص جديد. وسألها ان كان بإمكانه ان يراها مرة اخرى قبل ان تقلع به الطائرة.

وأجابته هي ببرود: «لا أظن ذلك. لأن لدي قاعدة صغيرة وهي أن لا أخرج مع المحتالين والكذابين. وداعاً يا فرانك.»

كان كلينت واقفاً هناك في الصف حاملاً صندوقاً، لم تكن تخلط بينه وبين أي شخص آخر، بكل تأكيد رغم أنه كان يرتدي بنطال جينز وكنزة. وقفز قلبها بعنف، فهي لم تره منذ يوم الأحد. فقد سافر إلى لندن بعد ظهر ذلك اليوم، ولم تتوقع أن تراه مرة أخرى قبل الغد.

أخذت تنظر إليه وهو يضع علب الأغذية في الصندوق وما لبثت ان وضعت فنجان القهوة من يدها، ووقفت ثم

أسرعت إليه قائلة وقد اشرق وجهها بابتسامة سعيدة: «مرحباً.»

رفع بصره وفي يده علبة سمك التونة، ورد عليها ضاحك العينين: «مرحباً يا اوليفيا.»

قالت: «لا استطيع تصديق عيني. لماذا أنت هنا؟»

أجاب: «فكرت في أنك قد تكونين بحاجة إلى مساعدة.»

ضحكت قائلة: «لقد كنت في لندن أثناء اليومين الأخيرين. ولا بد أن لديك الكثير من العمل لتقوم به الآن.»

قال وهو ينتقل إلى المنضدة التالية: «انني الرئيس في عملي.» قالت له: «اشكرك. وبالمناسبة، لقد اتصل فرانك توبس قائلاً انه نقل إلى عمل جديد في باريس.»

سألها بصوت متزن: «هل هذا صحيح؟»

أجابت: «لا أظن أنّ لك يداً في هذا. أليس كذلك؟»

التقت عيناهما، ثم قال: «انني لن احاول أن أسفه ذكاءك.»

قالت: «شكراً، ولكن لماذا فعلت ذلك؟»

فأجاب: «لأبعده عن الطريق، طبعاً.» استمر كلينت في العمل إلى ان انهى مهمته، وكان بقية المتطوعين قد خرجوا، فتبع سيارتها البيجو الحمراء الصغيرة، بسيارته الفيراري إلى بيتها.

وعندما أصبحا في الداخل، قال لها: «لقد كان اليومان الماضيان منهكين بالنسبة إليّ. لقد وصلت فقط عصر هذا اليوم.»

قالت: «لا بد أنك مرهق إذن.»

قالت: «لقد سبق وأخبرت الجميع ما عدا سيليا وباميلا،

بأنني سأغادر المدينة لكي امضي فترة الأعياد مع بعض الأصدقاء.»

قال: «يمكنك ان تأتي معي الآن، إذا شئت.»

وكانت هي متوقعة أن يأتي آلان لأخذها في الصباح، ولكن ما هو الفرق؟ خطرت ببالها فكرة، قالت: «أو يمكنك أن تمكث الليلة هنا؟»

في صباح اليوم التالي، كانت الفيراري تعود بهما إلى نيويورك وبينما ذهب كلينت إلى مكتبه، خرجت اوليفيا إلى السوق لتشتري بعض انواع الطعام لعشاء الليلة.

قالت السيدة نيلسون وهما تفرغان المواد الغذائية في المطبخ: «لم يكن يريدني قط أن أقوم بأي عمل. وكان دوماً يقول لي ان لا أزعج نفسي. هل تتصورين هذا؟ أما بالنسبة إلى العيد، فلا اظنه كان يهتم به كثيراً. لقد اعتاد أن يذهب إلى جزيرة في البحر الكاريبي ليبحر في المركب.» وبدا عليها السخط وهي تتابع قائلة: «انني مسرورة لأنك استطعت ادخال شيء من العقل إلى رأسه.»

وكان اليوم التالي هو اليوم السابق للعيد. وفي الصباح كانت اوليفيا في المطبخ تصنع خبز العيد المميز. وكانت السيدة نيلسون والخادمة اليومية قد منحتا عطلة ثلاثة أيام، إذ أن اوليفيا قد أصرّت على أنها قادرة على تسيير الأمور في المنزل وحدها، عدة أيام.

بقي أسبوع على مدة العقد بينها وبين كلينت. وانقبض قلبها هلعاً. ما الذي سيحدث بعد ذلك؟ هل سينتهي بينهما كل شيء، وبكل بساطة؟ هل سيناولها كلينت الشيك قائلاً: «شكراً، يا اوليفيا، لقد سررت بمعرفتك.»

استرعت انتباهها حركة مفاجئة، فأدارت رأسها نحو الباب.

كان ثمة امرأة تقف في مدخل المطبخ. امرأة طويلة القامة حمراء الشعر ذات عينين رماديتين باردتين، وعلى ذراعها كانت تحمل معطفاً من الفرو.

جمدت اوليفيا في مكانها وهي تحدق فيها. أهي عارضة ازياء رائعة الجمال؟ أم هي نجمة سينمائية؟ أم لعلها أميرة من أوروبا؟

كانت رائعة، ولكنها أيضاً بالغة الغضب.

سألتها المرأة: «من أنت؟»

الفصل الحادي عشر

بللت اوليفيا شفتيها وهي تحاول ان تتمالك رباطة جاشها بينما أخذت الأفكار والتساؤلات تتسابق في ذهنها. من تراها تكون هده المرأة، وكيف دخلت إلى الشقة؟

وعادت المرأة تقول: «لقد ألقيت عليك سؤالاً. من أنت؟»

خاطبت اوليفيا نفسها بأن عليها أن لا تسمح لها بأن تؤثر عليها بشيء. فهي قد تعلمت جيداً كيف تتعامل في الأسابيع الماضية، مع امثالها. فلتبدأ إذن!

حملقت اوليفيا في وجه المرأة وعلى فمها ابتسامة متألقة وهي تقول مشيرة إلى ما حولها في المطبخ: «انا! إنني الخادمة، يا سيدتي.» وكانت تتكلم بلهجتها الجنوبية الآن.

وضاقت عينا المرأة بارتياب وهي تسألها: «وأين السيدة نيلسون؟»

أجابت اوليفيا ببشاشة: «لقد ذهبت في إجازة. وأنا مكانها مؤقتاً.»

عادت المرأة تسأل: «وأين السيد مورغان؟»

أجابت بظرف مصطنع: «لقد خرج كلينت للتسوق، يا سيدتي.» وأخذت تراقب ردة الفعل عندها بعد أن ذكرت اسم كلينت مجرداً. ولم يخب أملها لأن كراهية ذلك بدت على وجه المرأة. وابتسمت اوليفيا بعذوبة، وأخذت تحرك المزيج بملعقة الخشب.

سألتها المرأة: «ومتى يعود؟»

فأجابت اوليفيا: «ليس لديّ فكرة. وقد يستمر غيابه ساعات. هل لك أن تنتظريه؟ بإمكاني أن اصنع لك فنجان قهوة أو ربما سندويتشاً.»

ساد صمت مكهرب، فترة، ثم قالت المرأة ببطء: «سأغتسل ثم اغير ثيابي، وبعد ذلك تصنعين لي فنجاناً من القهوة.»

واستدارت على كعبيها العاليين، ثم اجتازت الردهة في طريقها إلى الطابق العلوي.

وأدركت اوليفيا أنها كانت قد حبست انفاسها. فأخذت نفساً عميقاً بينما تسارعت نبضات قلبها.

وأخذت تهدىء نفسها قائلة: اهدإي الآن. ان هذا لا يعني شيئاً. ربما كانت ابنة عم له قد جاءت على غير انتظار لتمضي عطلة العيد مع كلينت الوحيد المسكين.

كانت اوليفيا تحضر كعك العيد، فتابعت إضافة المواد المطلوبة وأضافت التوت إلى الخليط وأخذت تحركه. وبدا امامها سيء المنظر ولكنه سيكون لذيذاً جداً عند اخراجه من الفرن، بعد أن يضاف إليه العسل والتوت البري والمكسرات. آه، من تراها تكون تلك المرأة؟ واغمضت عينيها بشدة. لا يجب أن تدع هذا يؤثر عليها. يجب ان لا تستسلم لأية مشاعر. لا بأس، ستفكر في ذلك فيما بعد.

وتصاعد صوت المرأة يخترق الصمت قائلاً: «ما هذا؟» ففتحت اوليفيا عينيها.

كانت المرأة واقفة عند الباب وقد أمسكت بمعطف اوليفيا المنزلي باصبعين وكأنما تظن أنه قد يكون ملوثاً.

أجابت اوليفيا: «إنه معطف للمنزل، يا سيدتي.»

قالت المرأة بحدة: «انني أعرف ما هو. ولكنني أريد ان اعرف لمن هو.»

نظرت إليها اوليفيا مباشرة، ثم قالت: «لقد كنت سألتني (ما هذا) وليس (لمن هذا.)» الويل لتلك المرأة وللهجتها هذه. وأخذت تسكب المعجون في الإناء.

وعادت المرأة تسأل بانفعال: «أريد أن اعلم ما الذي يدور هنا. من الذي وضع كل تلك الزينة.»

رفعت اوليفيا بصرها إليها قائلة: «انا التي فعلت.»

أخذت المرأة تتأمل اوليفيا من أعلى إلى اسفل وهي تقول متهكمة: «ما ألطف هذه الحياة العائلية، وكم هي مؤثرة. وأظن هذا الشيء يعود إليك أيضاً؟»

أجابت اوليفيا: «نعم. هو معطفي.»

قالت المرأة: «يا له من خسيس. ما أن اخرج من البلاد لعدة اشهر، حتى أعلم أنه يضيع وقته مع التافهات.»

وشعرت اوليفيا بالثورة تغلي في اعماقها.

قالت لها المرأة بصوت ثائر منخفض النبرات: «أريدك أن تخرجي من هنا.»

ابتسمت اوليفيا قائلة: «طبعاً، ليس ثمة مشكلة، فإذا لم يعد هناك حاجة إليّ، فيسرني ان اخرج من هنا. دعيني فقط اريك بعض الأشياء.» وفتحت الثلاجة. فصل تمثيلي آخر، وينتهي العرض. فقط لترى كيف ستتصرف هذه السيدة. وقالت: «ان البطة هنا. وقد صنعت رغيفين بنكهة التوت البري. وأيضاً صلصة التفاح هذا الصباح. وهي في هذا الإناء المغطى على الرف. أما الحشو فلم اصنعه

بعد. ولكن المواد لذلك هي على الرف في غرفة المؤن. هل تريدينني ان اترك لك الوصفة؟» فحدقت المرأة فيها دون أن تتكلم.

سألتها اوليفيا وهي مازالت ممسكة بباب الثلاجة المفتوح: «انك تجيدين الطبخ، أليس كذلك؟»

قالت المرأة: «هل تقترحين عليّ أن اطبخ عشاء العيد؟»

هزّت اوليفيا كتفيها، قائلة: «لقد كنت أقوم أنا بهذا، إذ كنا مصممين على البقاء في المنزل.»

تقدمت المرأة إلى داخل المطبخ، وجذبت باب الثلاجة من يدها، ثم خبطته بعنف وهي تقول: «فلتذهب البطة إلى القمامة. فإذا كان يريد أن يمكث في البيت، فليطبخ عشاءه بنفسه.»

قالت اوليفيا وهي تمسح يديها بالمنشفة: «ربما لا يعرف كيف يحشو بطة. وقد يحتاج مساعدة منك. على كل حال، دعيني أحزم أمتعتي لأخرج من هنا.» وأشرق وجهها بابتسامة، وهي تضيف قائلة: «آه، نعم. لقد نسيت الرغيفين في الفرن. إن ساعة التوقيت ستنطفىء بعد حوالي الخمسين دقيقة. فانتبهي إلى ذلك. أما خلالة الاسنان فهي هناك.» وتركت المطبخ إلى الردهة، ثم إلى غرفتها. وعندما أغلقت الباب خلفها، تنفست بعمق. كان جسدها يرتجف كلياً. فقد كان تمثيلها الذي قامت به ذاك، أكثر صعوبة مما كان يبدو ظاهراً.

ولم يأخذ حزم حاجياتها القليلة التي كانت احضرتها من بيتها، وقتاً طويلاً، واستدعت، هاتفياً، سيارة أجرة، ثم حملت حقيبة ثيابها خارجة إلى الباب الأمامي. وكانت

المرأة جالسة على الأريكة في معطف منزلي طويل من الحرير، وفي يدها كوب عصير. وكانت الساعة الحادية عشرة صباحاً.

قالت لها اوليفيا: «أخبري كلينت من فضلك، أنني مازلت انتظر استلام الشيك آخر هذا الشهر.»

اتسعت عينا المرأة وهي تقول: «وماذا يعني هذا؟»

أجابت اوليفيا: «لا يمكنني شرح ذلك، مع الأسف. اخبريه فقط بهذا.»

وفتحت اوليفيا الباب، ثم توقفت ويدها على مقبض الباب، لتسألها قائلة: «انك جانيت، أليس كذلك؟»

حدقت تلك العينان الباردتان فيها بنظرات فولاذية، وهي تجيب: «نعم.»

أومأت اوليفيا برأسها قائلة: «هذا ما ظننت. لقد سبق وسمعت بك. تعازي الحارة لكلينت.» ثم فتحت الباب على اتساعه وهي تعود لتقول باسمة: «إنني ذاهبة الآن. عيد سعيد.» وخرجت وأغلقت الباب خلفها.

كان نهاراً كئيباً غائماً تعصف فيه الريح، وكأنما الكون كله يتجاوب مع نفسيتها الكئيبة.

اوقفت سيارة أجرة وانحنت إلى الأمام تتحدث إلى سائقها الذي سره أن يأخذها إلى منزلها مباشرة ويتقاضى أجراً مرتفعاً.

وخارج السيارة، كان الجو غائماً ممطراً. ونظرت اوليفيا إلى الناس يهرولون في الشوارع وقد حنوا رؤوسهم توقياً للمطر والريح، والسيارات تنثر رذاذ المياه حولها وهي تقتحم مستنقعات المياه، فتصيب برشاشها

المارة لتبلل ثيابهم. وكان الناس في كل مكان يحملون أكياساً مليئة بالهدايا.

ذلك أن الغد كان يوم العيد.

العيد! لشد ما كانت تتطلع إلى ذلك اليوم، وهي تجهز عشاء العيد. يا لحماقتها، إذ تترك نفسها لهذه الاحلام تجمعهما معاً... العيد، الهدايا، العشاء، وكأنهما حبيبان. ولكنهما لم يكونا حبيبين، ولن يكونا أبداً كذلك.

كان بيتها، حين وصلت إليه، بارداً رطباً. فوضعت بعض الأوراق والأخشاب في المدفأة، ثم اضرمت فيها النار، وأخذت تراقب النيران وهي تلتهم الأوراق لتصل إلى الأخشاب. وابتدأت هذه تقرقع بينما الدخان يتصاعد منها، ومن ثم بدأت النار تهدر.

جلست أمام المدفأة وفي يدها كوب الكاكاو، حيث أخذت تراقب اللهب.

وايقظها الطرق العالي على الباب، من غيبوبتها. فمضت تفتح الباب.

كلينت... ووقفت تحدّق فيه وقد أخذ قلبها يخفق بوحشية. وأخيراً، استطاعت ان تقول: «ما الذي تفعله هنا؟»

دخل إلى المنزل دون أن ينتظر دعوتها، وهو يقول: «لقد جئت لأعود بك إلى منزلي.»

أغلقت الباب ثم جاءت تواجهه قائلة: «انني لا أفهم.»

فأجاب: «وماذا هناك لكي تفهميه؟ لقد سبق ووافقت على أن تمضي العيد معي. هذا إلى أننا خارجان هذه الليلة لتناول العشاء خارجاً.»

توتر جسدها وهي تقول: «لقد قيل لي أن اخرج من بيتك.»

أجاب: «ليس أنا الذي طلب منك ذلك.»

قالت: «انها السيدة صديقتك التي جاءت إلى بيتك. لقد بدا لي أن بإمكانها القيام بطلباتك بكفاءة تامة.»

قال وقد بدا الهزل في عينيه: «ليس بإمكانها أن تسلق بيضة.»

قالت بسخرية لاذعة: «حسناً، نعم. انها مشكلة حقاً، خذها إذن للعشاء خارجاً.»

أبدى كلينت إشارة تدل على فروغ الصبر، وهو يقول: «انني آسف لما حدث. فأنا لم اكن اتوقع مجيئها. حتى انني لم أكن أعلم بعودتها من أوروبا.»

قالت: «آه حقاً؟ على كل حال، فأنا لا أظن ان السيدة صديقتك سيعجبها ذلك.»

قال: «ان اسمها جانيت. وأنا لا أهتم مطلقاً بما يعجبها أولا يعجبها، فقد طردتها من بيتي.»

قالت: «اتطردها قبل العيد بيوم؟ هذا ليس عمل خير منك.»

قال: «كفى، يا اوليفيا. انها لا تعني لي شيئاً.»

ردت عليه قائلة: «حسناً، ولكنها أرادتني أن اظن ذلك.»

قال: «لا أشك في هذا لحظة، فهي محتالة بارعة. ولكن ليس لها أي حق عليّ مطلقاً. كما أن ليس لها الحق في التدخل في حياتي ولا الحق في أن تخرجك من بيتي. لقد تجرأت كثيراً. وقد صفيت الحساب معها الآن. فكوني متأكدة من انها لن تزعجك بعد الآن.»

وسوّت من كنزتها فوق وركيها وهي تقول: «لا بأس، إذا كان هذا ما تريده، فسأعود معك.» وبعد ذلك بلحظات كانا في طريقهما إلى نيويورك.

سألها بقوله: «هل تريدين فنجاناً من القهوة؟»

هزّت رأسها تجيبه: «كلا، شكراً.»

قال لها: «انني آسف إذ حدث هذا، يا اوليفيا.»

قالت: «لا بأس.» كان عليها أن تكون مسرورة إذ مازال بإمكانها ان تمضي العيد معه، ومع ذلك، فقد خبا شيء من ذلك البريق. لقد طرد جانيت. هذا صحيح، ولكن ما حدث لها قد شوه سعادتها المتألقة.

كان العشاء حيث توجها، رسمياً ضخماً حضرته النخبة من القوم ومشاهيرهم. وكان مصورو الصحف يكمنون في المدخل خارج الباب. والمخبرون يصيحون وهم يلقون بالأسئلة. ولكن الليل طواهم دون أن يبدو أن احداً أجاب على اسئلتهم.

كان المدعوون متألقين.. والحديث... كان الحديث مستمراً دون توقف. كل شخص كان عنده ما يقوله. كل شخص كان يريد ان يسمعه الآخرون. وأثناء تناول المرطبات الذي يسبق العشاء، وجد كلينت واوليفيا نفسيهما مع عالم وسيم، أخذ يتكلم بحماس عن رحلته إلى الأمازون وقد خلبت قصصه لب اوليفيا، وبدا عليه بوضوح افتتانه بها. وكان الوحيد الذي لم يفتنه شيء هو كلينت، الذي قرر اخيراً ان الوقت قد حان ليختلطا بالبقية من الحضور.

قالت له بضيق: «كنت مسرورة بحديثه. انك دائماً تجرني

بعيداً حين اتحدث إلى أي رجل تحت سن الأربعين.»

قال: «انك تتخيلين اشياء غير صحيحة. تعالي الآن.»

حين وصلا إلى البيت عائدين من الحفلة، كان الإرهاق يتملكها من جراء قيامها بأحاديث متفرقة، كما أن فكيها كانا يؤلمانها من كثرة الابتسام.

قالت ببساطة: «لقد كان يوماً طويلاً، وأنا الآن سأصعد إلى غرفتي.»

قال: «هل هناك شيء ما؟»

أجابت: «كلا، وإنما أنا متعبة فقط.» وتراجعت قليلاً إلى الخلف موسعة المسافة بينهما، ثم تابعت تقول: «ليلة سعيدة.»

قال: «اوليفيا. ارجوك، لا تفعلي هذا، يا اوليفيا.»

سألته: «لا افعل ماذا؟»

أجاب: «انك تعرفين ماذا. لا تشيحي بوجهك عني. أود أن نسهر معاً حتى يطلع الصباح.»

أشاحت بوجهها عنه، وهي تقول: «كلا... لا أريد... لا استطيع.»

سألها قائلاً: «ولما لا؟»

اغرورقت عيناها بالدموع وهي تقول: «لأنني اشعر ان هذا عمل غير صائب. وأنا آسفة لأنني سبق ووافقت على دعوتك.»

عاد يسألها: «لماذا؟»

قالت وقد ابتدأت دموعها تنهمر: «لأنني... لأنني اشعر بأنك تستغلني. وأنني لا أعدو من أن اكون اداة مؤقتة لخدمة اغراضك. إنني لا الومك، فهذا ذنبي أنا. لقد كنت غبية وساذجة، وقد حان الوقت لكي اعقل.»

وحاولت ان ترى وجهه، ولكن الدموع في عينيها حالت بينها وبين ذلك.

قال بصوت خافت: «انني لا استغلك، أنا معجب بك وأنت كذلك. فأنا لم انتهز الفرصة أو اخدعك، يا اوليفيا. فقد كان قرارنا مشتركاً.»

قالت وهي تستدير هاربة نحو غرفتها: «حسناً، لقد كان قراري خاطئاً.»

استلقت في سريرها وهي تتساءل عما كانت قد توقعت. ان كلينت غير مدين لها بشيء، وليس لها الحق في أن تطلب منه شيئاً. ليس لها الحق في أن تفترض أنه شعر نحوها بنفس الشيء الذي شعرت هي به نحوه.

لقد منحته الحب مجاناً. انها احبته، وهي تتمنى أكثر من أي شيء في العالم، ان يبادلها الحب هو أيضاً. وفي الأيام الأخيرة، بدا من السهل، عليها الاعتقاد بأنه يحبها. ولكن هذا كان فقط لأنها ارادت ان تعتقد بذلك. لأنها كانت متلهفة إلى أن يكون ذلك حقيقة.

ما الذي كانت تتوقعه، على كل حال؟ عرض زواج؟ هل تراها فقدت عقلها كلياً؟ ان كلينت ليس من النوع الذي يتزوج. وهو لم يحاول قط أن يحملها على اعتقاد غير ذلك.

ربما هو بحاجة إلى وقت. وربما سيتعلم، مع الوقت، ان يغير آراءه بالنسبة للحب والالتزام. ألا يستحق هذا، المجازفة على الأقل؟ ان على المرء في هذه الحياة أن يتصرف، احياناً من منطلق الثقة والإيمان.

لو أنها فقط، لا تشعر بكل ذلك الخوف.

نزلت من سريرها، وارتدت معطفها المنزلي. ووجدته

في غرفة الجلوس، جالساً في الظلام، امام المدفأة. مشت عارية القدمين على السجادة الناعمة متجهة إلى حيث كان جالساً على الأريكة، ثم جلست، وهي تهمس: «كلينت.»

أدار وجهه نحوها وأجاب: «نعم.»

سألته: «لماذا لم تنم بعد؟»

أجاب: «لم استطع النوم.»

قالت: «وأنا كذلك لم استطع.»

وساد الصمت. وأخذت تنظر إلى اللهب الذي كان يلقي بظلاله الغريبة في ظلام الغرفة.

وأخيراً قالت: «انني آسفة للجدال الذي حدث بيننا. لقد كنت مستاءة لما حدث من جانبي نحوي، لقد شعرت بالمذلة.»

قال: «أعلم ذلك. انني أعلم نوع تصرفاتها. انني اريد ان امضي العيد معك، يا اوليفيا، وليس معها ولا مع أي أحد آخر.»

قالت برقة: «انني هنا.»

قال لها: «انك لست لغرض مؤقت يا اوليفيا. ألا تعرفين ذلك؟»

قالت: «انني لست متأكدة من شيء.»

قال: «انني أناديك أحياناً، لأسمع صوتك فقط.»

وساد صمت إلا من همساتهما، ومن قرقعة الخشب في المدفأة.

قالت: «انني أفكر فيك على الدوام، احلم بك. ان تفكيري لا يخلو منك مطلقاً.»

قال: «انني بحاجة إليك يا اوليفيا، انني بحاجة إليك.»

وجاء صباح العيد. وصنعا الافطار معاً. لقد اصرت هي على أن تقوم بتجهيزه بدلاً من احضاره من المطعم. إذ أن هذا كان ممكناً حتى يوم العيد، طبعاً مع دفع الثمن.

لقد صممت على أن تصنع الكعك بنفسها، وكانت قد اشترت ثمار الفريز الذي كان مستورداً من مكان لا تعرفه. وعلبة تحوي قشدة.

قالت وقد ابتدأ بالعمل في المطبخ: «سأخفق أنا القشدة. فأنا أحبه سميكاً. ولكن إذا أنا خفقته طويلاً، ستنتج عنه زبدة. عند ذلك نصنع الكعك.»

وبعد الافطار، جاء دور الهدايا.

قالت اوليفيا وهي تتفحص اكوام الهدايا المكتوب عليها اسمها: «هذا مخيف.»

قال كلينت ضاحكاً: «سأستمتع بالتفرج عليك، هذا إلى أنني نلت أحسن هدية بينها جميعاً، وهي ما أحتاج إليه.» فنظرت إليه بحيرة فقال باسماً: «انها أنت.»

قالت: «شكراً. ان سروري بالغ لوجودي هنا.»

كانت هناك هدايا من أسرة باميلا. ومن أمه. من بعض الأصدقاء، ثم من اوليفيا.

واخرج الكنزة من صندوقها، ثم اخذ يتأملها بصمت لحظة لا نهاية لها، ثم قال: «هل حكت هذه بنفسك؟»

أجابت: «نعم.»

أجاب: «انها رائعة الجمال لا تشبه ابداً ما تحوكه العجائز الصغيرات.»

قالت: «ولكنني لست عجوزاً صغيرة، فأنا استعمل احدث

النماذج الأوروبية.» وضحكت وهي تضيف: «بعد أن أبدّل قليلاً في طرازها طبعاً.»

وقف قائلاً: «سأذهب وارتديها.»

وعاد بعد فترة قصيرة، وكان يبدو رائعاً. وقفز قلب اوليفيا لرؤيته يرتدي بنطال الجينز والكنزة فوق قميص أزرق.

قالت: «انها تبدو أجمل مما ظننت. هل اعجبتك؟»

قال: «نعم. اما ما جعلها غير عادية عندي فهو أنها من صنع يديك. وأنت فتاة غير عادية، يا اوليفيا، انك تعرفين هذا، أليس كذلك؟»

سألته: «ولماذا أنا غير عادية؟»

قال: «لأنك تعرفين كيف تمنحين من ذاتك. وتعرفين كيف تحبين.»

وعاد يقول بهدوء: «لقد اغنيت حياتي. انني اعرف أن ما أقوله يبدو مسرحياً... ولكنني لا أعرف كيف اعبر عن نفسي. لقد علمتني كيف استمتع بالأشياء الصغيرة في الحياة.» وابتسم ثم تابع يقول: «مثل اللعب في الثلج، وأكل حساء الجذور.»

شعرت اوليفيا بوجهها يلتهب وهي تقول: «انك تحرجني بكلامك هذا، يا كلينت.»

قال: «الأفضل ان تفتحي بقية علب الهدايا.»

وكانت هدايا من الأسرة والأصدقاء تتكون من الكتب، والقفازات، والتسجيلات الموسيقية، وقمصان النوم واشياء اخرى مختلفة. ومن كلينت تلقت رسماً جميلاً في إطار يمثل فيلاً افريقياً ضخماً. خلف الرسم كتب: «إلى اوليفيا التي

تحب أن تحرر الفيلة من حديقة الحيوان. والرجال من البذلات القاتمة اللون... كلينت.»

كان نهاراً لن تنساه في حياتها، صنعا فيه عشاء العيد معاً، بين الضحك والدعابة، وبعد ذلك شاهدا فيلماً فرنسياً، في الفيديو.

وأمضيا معاً اغلب بقية الأسبوع. فخرجا إلى أمكنة لم يكن من المحتمل أن يصادفا من يعرفهما فيها وشاهدا افلاماً اجنبية. وتحدثا معاً. وكان كلينت يمضي أقل وقت ممكن في مكتبه، ليخرج بعد وقت قصير. واتصلت اوليفيا هاتفياً بسيليا لتتحدثا معاً بشأن مؤسسة ميرسي.

سألها في صباح اليوم السابق لانتهاء السنة. سألها قائلاً: «ما رأيك في رحلة إلى الأرياف؟» وكان هذا آخر يوم كامل يمضيانه معاً. وهذه الليلة سيحضران احتفالاً خاصاً بمناسبة السنة الجديدة. وفي وقت ما من الغد، عليها أن تكون مستعدة للعودة إلى بيتها لتكون على استعداد للعودة إلى المدرسة في اليوم التالي. أرجوك ألاّ تتركني. كانت هذه الكلمات تعتمل في نفسها وهي تستمع إليه قائلة وقد غصت بريقها: «رحلة في الأرياف؟»

أجاب: «نعم، لقد قمنا بذلك مرة من قبل. اتتذكرين؟»

أجابت ضاحكة: «آه، نعم. ولم تكن ناجحة تماماً. ولكنني سأذهب مادمت تعدني بأن لا نذهب للتحدث في شؤون العمل مع أحد اصدقائك.»

قال: «هذا وعد مني لك.»

سألته: «وإلى أين سنذهب؟»

أجاب: «إلى واينبرغ.»

قطبت جبينها قائلة: «ولماذا؟»

أجاب: «إنها مفاجأة. وهي ستعجبك، صدقيني.»

www.elromancia.com

الفصل الثاني عشر

طيلة طريقهما إلى واينبرغ واوليفيا تحاول دون نجاح أن تستخلص الحقيقة من كلينت، ولكنه ببساطة لم يكن بالذي ينخدع بسهولة.

قال لها: «إذا أنا أخبرتك فلن تكون هناك مفاجأة.»

قالت: «هذا صحيح، ولكن أعطني إشارة فقط.»

أجاب ساخراً: «إنه شيء أعرف انك ستحبينه، ها قد وصلنا تقريباً.»

واخترقت الفيراري وسط المدينة، لتتباطأ شيئاً فشيئاً عندما وصلت إلى البيوت الأخيرة القليلة العدد، ثم انعطفت صاعدة إلى بيت الحاكم ومن ثم توقفت أمامه.

نظرت اوليفيا إلى منزل قديم كانت قد رأته وهي في رحلتها الريفية الأولى مع كلينت. لقد انتهى العمل به الآن، حسب ما يبدو. فقد طلي وأصلح كل جزء منه ما بدا معه في حلة جديدة متألقة. وكانت مطرقة الباب الأمامي النحاسية تشع كالذهب. وسألته: «لماذا جئنا إلى هنا؟»

أجاب: «لقد سبق وقلت إنك ترغبين في رؤيته من الداخل عندما ينتهي العمل فيه.»

قالت: «نعم، ولكن...» وفتح آلان باب السيارة، ثم مدّ يده يساعدها على النزول، وتبعها كلينت ليسبقها صاعداً الدرجات الخشبية إلى باب المنزل حيث أخرج المفتاح من

جيبه. وفتح الباب ثم تنحى جانباً وهو يبتسم داعياً إياها إلى الدخول.

دخلت هي إلى الردهة. كان الجوّ في المنزل دافئاً وقد تصاعدت في المكان روائح خشب الصنوبر ودهان تلميع الأرض. وكان المنزل خالياً من الأثاث.

أغلق كلينت الباب ثم مشى أمامها قائلاً: ««اتبعيني، فسأطوف بك المكان.»

رفعت بصرها إليه تسأله: «كيف حصلت على المفتاح؟»

أجاب: «لقد استعرته من المالك.»

سألته: «هل كلفت نفسك كل هذا الازعاج لكي تريني المنزل من الداخل؟»

أجاب: «لقد أردت أن أراه أنا أيضاً. دعينا نبدأ من الطابق الأعلى، ثم نعود فننزل إلى الطابق الأسفل.»

صعدا الدرج العريض الملتوي ذا الحاجز الخشبي الأملس. كانت غرف النوم واسعة ذات نوافذ تمتد من الأرض تقريباً إلى السقف، وكل الخشب مدهوناً لامعاً بما في ذلك الأرض الخشبية. وكانت النوافذ تشرف على الحدائق والتي بدت الآن جرداء في فصل الشتاء.

قال كلينت: «عندما ينتشر الاخضرار في كل مكان، سيكون المنظر في غاية الجمال. فأزهار الأضاليا وغيرها هي في منتهى الروعة كما أخبروني.»

تابعا سيرهما وصوت خطواتهما يتجاوب صداها في ذلك المكان الفارغ. وحاولت اوليفيا أن تتصور ما تبدو عليه هذه الغرفة وهي مؤثثة. كانت الحمامات تحتوي على كل وسائل الراحة العصرية، ولكنها مصممة بشكل أثري

تاريخي. كذلك كان المطبخ في الطابق الأسفل مزوداً بكل تلك الوسائل دون أن يفقد تراثه التاريخي.

هتفت اوليفيا: «أوه، يا له من مطبخ رائع.»

قال: «أظن بامكانك حقاً أن تستعملي هذا المطبخ.»

أومأت برأسها وهي تنظر إليه مرة أخرى، لماذا كان يريها هذا البيت؟

انتقلا إلى غرفة الطعام، ثم القاعة، ثم المكتب، وكانا ينظران من كل نافذة يمران بها.

قال: «إن التدفئة المركزية تعمل في المنزل، إذ ان الدفء يسود المكان. ويوجد كذلك تكييف مركزي للتبريد. هذا حسن.»

لماذا كان يخبرها بهذا كله؟ ولماذا يهتم بكل ذلك؟ لماذا يريها هذا المنزل؟ وابتدأت شكوك غامضة تجول في ذهنها.

ماذا لو...؟

كلا، ونبذت هذه الفكرة من رأسها، ولكنها عادت فألحت عليها ولم يستطع عقلها أن يتخلّص منها.

ماذا لو...؟

كلا، ليس بإمكانها أن تستسلم لظنونها هذه، إلى أمل خيالي غامض، فذلك كان كثيراً عليها، كثيراً على توقعاتها.

ماذا لو أن البيت كان ملكه؟ ماذا لو أنه كان اشتراه وكانت هذه هي طريقته في... كلا. كلا. وأغمضت اوليفيا عينيها بشدة وهي تأخذ نفساً عميقاً. يجب ألاّ تسمح لنفسها بالاسترسال في مثل هذا التفكير حتى ولا بينها وبين نفسها.

قال كلينت وهو يفتح باباً ضخماً من خشب السنديان: «والآن، إلى غرفة الجلوس.» وأشار إليها بالدخول قبله. فدخلت خطوة واحدة لتقف بعدها وقد تصاعدت خفقات قلبها. ولم تملك سوى التحديق بذهول.

كانت النيران تضطرم في المدفأة، وأمامها على سجادة شرقية واسعة، بسط سماط حافل بكل ما تشتهيه النفس من ألوان الطعام والشراب وقد وضعت حوله وسائد وثيرة للجلوس.

ساورها الانفعال، إذن فصحيح ما فكرت فيه. لقد غيّر رأيه! وهو سيعرض عليها الزواج. وهما سيعيشان معاً في هذا المنزل.

سألها: «هل أنت جائعة؟»

ازدردت ريقها، ثم قالت مترددة: «نعم.» ثم ازدردته مرة أخرى وقالت: «أوه، يا كلينت، يا لها من مفاجأة رائعة.»

سألها باسماً: «هل أعجبك المنزل؟»

أجابت: «آه يا كلينت، إنك تعلم أنه يعجبني، إنه رائع.»

تسمّرت عيناه في عينيها وقال: «إنه ملكك.»

الفصل الثالث عشر

هل حقاً ما سمعته؟ هل كان كلينت يعطيها البيت؟ وشعرت بجفاف مؤلم في حلقها، وسألته: «ملكي أنا؟»

أجاب: «نعم، ويمكنك الانتقال إليه في أيّ وقت تشائين. يمكنك أن تسكني هنا ثم تستمرين في مزاولة التعليم و...» ولم تسمع بقية حديثه. ذلك أن كلماته أخذت تتجاوب في رأسها يمكنك أن تسكني هنا، يمكنك أن تسكني هنا، يمكنك أن تسكني هنا.

ثم أردف: «اجلسي.»

قالت وهي تغص بريقها: «هل اشتريت هذا البيت لأجلي؟»

أجاب وهو يجلس: «نعم، هل خطر ببالك لحظة أنني سأتركك تذهبين حالما تنتهي السنة وينتهي العقد معها؟»

أجابت: «لا أدري.»

أخذت تنظر إليه بذهن شارد وشعرت بجسدها ميتاً وقد استولى عليها ما يشبه الذهول. وأخذت ترتجف رغم حرارة النيران الملتهبة بجانبها، وكلماته ما زالت تتجاوب في رأسها (يمكنك أن تسكني هنا.)

سألته بصوت بدا وكأنه آتٍ من بعيد: «وأثناء سكني في هذا البيت، أين ستكون أنت؟»

أجاب: «سأكون في شقتي في المدينة. وفي العطل

الاسبوعية وكلما أتيحت لي فرصة آتي إليك هنا. فهذا سيكون مكاننا، لنا نحن الاثنين فقط. سأعلمك ركوب الخيل. ويمكننا أن نقيم هنا حفلات. أو بإمكانك أن تحضري إليّ في المدينة لنحضر معاً حفلات الباليه.»

قالت: «أو حفلات العشاء المتعلقة بالعمل.» وكان صوتها وهي تقول ذلك، جامداً لا حياة فيه. ولكن لسانها بقي يتحرك بينما كان قلبها يتحوّل إلى برودة الثلج وعضت شفتها وهي ترفع عينيها إليه. وشعرت بالحرارة تعود إلى جسدها وبالدم يسري في شرايينها، وبالألم يعتصر قلبها. وما لبثت أن قالت ببطء وهي تحاول تمالك نفسها: «هل سبق وحدثتك من قبل، عن أولئك الناس الذين كنت أقابلهم في تلك الحفلات؟»

قطب جبينه سائلاً: «وماذا بشأنهم؟»

قالت: «إنهم لم يتقبلوني قط كأمر مسلّم به.» وكان صوتها هادئاً متزناً وهي تستمر قائلة: «بل كانوا يحاولون تقييمي معنوياً متسائلين عمّن أكون وما هي حقيقتي التي تختفي وراء مظهري المتنكر ذاك، لم يكونوا يعرفون من أنا ومن أين أتيت.» وسكتت، ثم نظرت إليه مباشرة ثم عادت تتابع قائلة: «إنني أعرف ماذا يظنون يا كلينت. فهم لا يفكرون في أنني معلمة، كانوا سيضحكون لهذا لو أنني قلته لهم.» ورفعت بصرها نحو السقف وهي تغالب دموعها بعنف وتتابع: «لقد استطعت تحمّل هذا لأنني كنت أعلم من أنا، وكنت أنت تعلم من أنا على الأقل، كنت قد ظننت ذلك.» وجاهدت للإبقاء على ثبات صوتها، وهي تتابع: «والآن لقد أصبحت بالنسبة إليك ما كانوا يظنونه بي تماماً.» وازدردت

ريقها وهي تنظر إليه مباشرة، وتتابع قائلة: «كلا، وشكراً لك.»

ووقفت على قدميها، متجهة نحو الباب. عليها أن ترحل. لم يعد بإمكانها البقاء هنا دقيقة واحدة. ولكن كلينت قفز واقفاً ليعيدها، وهو يقول: «لقد اشتريت هذا المنزل لك لتكوني سعيدة.»

أطلقت ضحكة يملؤها الألم وهي تقول: «لقد اشتريت هذا المنزل لكي يمكنك أن تمتلكني متى شئت فتضعني فيه لكي أكون رهن مشيئتك كلما شعرت بالحاجة إلي.» وابتدأ جسدها يرتجف وهي تقول: «إنك تجعلني أشعر بنفسي وكأنني... وكأنني...» وانهمرت الدموع من عينيها وهي تتابع: «إن لديّ بيتاً، يا كلينت! فأنا لست بحاجة إلى بيت! كما انني لست بحاجة إلى نقودك.»

وساد صمت هائل. وأخيراً قال: «لقد كانت نقودي مقبولة منذ شهر مضى.»

قالت: «لقد كان الأمر مختلفاً. كان عقد عمل، وأنت تعلم ذلك.»

قال: «وكيف كان مختلفاً؟»

أجابت: «لم تكن تلك النقود لأجلي.»

وتملكتها غصة إذ أرادت أن تقول له إنني أحبك، ولكنها لم تنطق بذلك.

قال: «ولكن بإمكانك أن تسكني هذا البيت بكامل إرادتك وحريتك.»

ضحكت بمرارة وهي تقول: «إنني لا أصلح زوجة لرجل مثلك. أليس كذلك؟ كما إنني لم أكن قط كذلك بالنسبة إليك،

فأنا لست سوى معلمة مدرسة. فأنا لا أنتمي إلى طبقتك. حسناً، دعني اقول لك شيئاً يا كلينت، إنني لم أرغب قط في أن أنتمي إلى طبقتك هذه. فأنا أحب حياتي كما هي أكثر كثيراً مما أحب حياتك. إن لي أصدقاء حقيقيين. وأنا لست بحاجة إلى نقودك. إنني لست بحاجة إلى بيتك. كما إنني لست بحاجة إليك أنت أيضاً.»

وبرأس عالٍ، خرجت من المنزل ولم يعترضها هو هذه المرة. وسارت نحو المدينة حيث وجدت هاتفاً اتصلت بواسطته بسيليا.

«إياك أن تقولي لي إنك سبق وقلت لي هذا من قبل.» وكانت اوليفيا توجه هذا القول إلى سيليا وهما جالستان في شقة هذه الأخيرة تحتسيان مغلي الأعشاب لتهدئة الأعصاب. وكانت سيليا قد استمعت صامتة إلى قصة اوليفيا المؤسفة.

وأخيراً سألتها: «هل بإمكاني مساعدتك بشيء؟»

فأجابت: «يمكنك أن تأخذيني إلى بيتي فهو ينتظرني هناك على الأرجح. فأنا ما زال عليّ أن أخرج معه إلى احتفال هذه الليلة. وهي آخر ما بقي من العقد، ومن ثم ينتهي كل شيء.»

فبدا الذهول على سيليا وهي تقول: «هل ما زلت تريدين الذهاب معه؟ هل أنت مجنونة؟»

أجابت اوليفيا: «طبعاً أنا مجنونة. وطبعاً سأذهب معه، فهذه هي آخر مرة أذهب فيها معه، حسب العقد وبعدها يحقّ لي أن أطالبه بالشيك، ثم انتهي منه إلى الأبد. سأتابع الاتفاقية إلى النهاية، إذ ليس بإمكاننا أن نغامر بخسارة

المال لأجل حفلة واحدة قذرة. إن كل ما عليّ أن أفعل هو أن أبدو متألقة وابتسم بحلاوة. لا تقلقي لأجلي، فأنا خبيرة الآن.»

وهكذا أوصلتها سيليا بسيارتها إلى البيت. وكما توقعت اوليفيا فقد كانت الفيراري واقفة أمام المنزل تنتظر. وأدهشها أن ترى كلينت في الباحة خلف المنزل يقطع الأخشاب وقد علّق معطفه على فرع شجرة، وثنى كمي قميصه إلى المرفقين غير مبالٍ ببنطاله الرماديّ الأنيق.

ونظرت إلى سيليا قائلة: «انظري إلى هناك. فهذا منظر لا ترين مثله كثيراً.»

ضحكت سيليا قائلة: «ربما يحاول بهذا أن ينسى خيبة أمله.»

قالت اوليفيا: «حسناً، إنه يقوم على الأقل بعمل نافع.»

وفتحت باب السيارة لتترجل منها وهي تقول: «أشكرك. سأتصل بك عند عودتي غداً.»

وابتعدت سيليا بسيارتها، بينما تقدمت اوليفيا من كلينت الذي كان الآن قد توقف عن تقطيع الأخشاب ووقف ينظر إليها وهي تقترب منه.

قالت له بهدوء: «يمكننا أن نتحرك للسير في أي وقت تشاء.»

سألها: «هل أنت آتية معي؟»

قالت: «نعم إن بيننا عقداً وأنا لا أريد فسخه.»

توتر فكه وقال: «الويل للعقد.»

قالت ببرود: «لا تقل هذا من فضلك. فنحن بحاجة إلى النقود.» وتفرست في هيئته. كان شعره أشعثاً ووجهه متجهماً وقد تقبّضت يداه إلى جانبيه. إنها لم تره أبداً بهذا

الشكل من قبل. لقد بدا عليه وكأنه فقد السيطرة على نفسه. وشعرت لهذا برضى داخلي عميق. واستدارت لتسير نحو سيارة الفيراري، بينما هرع آلان لفتح باب السيارة لها.

تبعها كلينت وجلس بجانبها، أما هي فقد تناولت صحيفة من علاقة الصحف ثم ابتدأت تتصفحها.

قال لها: «علينا أن نتحدث في الأمر.»

أجابت: «كلا، ليس علينا ذلك. ليس لديّ المزيد لأقوله لك، على الاطلاق.»

استند إلى الخلف وهو يقول: «كما تشائين.»

وفي شقته، كانت السيدة نيلسون تنتظرهما وقد جهزت لهما وجبة خفيفة. وبعد ذلك هربت اوليفيا إلى غرفتها حيث ابتدأت تستعد للاحتفال. كان عندها الوقت الكافي لكي تتمالك نفسها. فهي لن تسمح لنفسها بأن تتوزع شتاتاً. ليس الآن على كل حال، فهي ستقوم بدورها الآن حسب العادة تماماً. وفيما بعد عندما تخلو إلى نفسها يمكنها أن تستسلم إلى أحزانها.

حدثت نفسها بأنها ما هي سوى ليلة بقيت وينتهي كل شيء. وبإمكانها أن تتصرف فيها كما يجب. وهكذا رسمت على وجهها إمارات البهجة والسعادة. وابتسمت وضحكت وصافحت الآخرين، واستمعت إلى الناس وتكلمت وقت اللزوم، بينما كانت في أعماقها تشعر بالموت. كانت مجرد آلة دون شعور، تتصرف تلقائياً إذا ما ضغط زر مناسب. لقد تعلمت الكثير في الأسابيع الماضية. فهي بإمكانها الآن أن تبتسم وتدعي ما لا تشعر به حقاً، تماماً كغيرها من هؤلاء الناس.

وطيلة الحفلة، كانت شاعرة بعيني كلينت ترمقانها متأملة وقد أظلم وجهه. فهو لم يكن يفهم معنى تصرفاتها تلك. ولكنها لم تهتم. إن بينهما عقد عمل، وهي ستستمر فيه حتى النهاية المرة.

جلست بجانبه صامتة بينما الفيراري تعود بهما إلى شقته. ووقفت بقربه في المصعد صامتة. وفي داخل الشقة تمنت له ليلة سعيدة، ثم صعدت إلى غرفتها.

وتهالكت على سريرها وقد شملها الارتياح. ها قد انتهى الأمر، ولم يعد ثمة حفلات، بعد الآن.

وأخذت تتقلب أرقة، طيلة الليل وكفّت عن محاولة الرقاد عند الساعة السادسة. وكان الظلام ما يزال منتشراً في الخارج والمنزل يغمره السكون. لا بد أن كلينت ما زال راقداً. وتركت سريرها قاصدة المطبخ لتصنع كوباً من القهوة.

كان بإمكانها أن تحزم حاجياتها في الوقت نفسه. وهكذا حملت فنجان القهوة عائدة إلى غرفتها حيث ألقت في حقيبتها الأشياء القليلة التي سبق وأحضرتها معها من بيتها، تاركة في الخزانة كل ملابس الحفلات. قد يكون بإمكانها أن تتسلل خارجة قبل أن يستيقظ.

ولكن لم يكن لها حظ في هذا، إذ رأته يقف على عتبة غرفتها بينما كانت تقفل حقيبة ثيابها. وكان يرتدي معطفاً منزلياً أزرق اللون، وكان شعره أشعثاً وذقنه دون حلاقة.

سألها قائلاً: «أليس الوقت مبكراً لذهابك؟»

أجابت: «إن عليّ أشياء يجب أن أقوم بها، وكذلك عليّ أن أستعد للمدرسة.»

ألقى كلينت نظرة على الخزانة المفتوحة، ثم قال لها: «إن الملابس ملكك.»

أجابت: «إنني لا أريدها.» وأنزلت حقيبتها عن السرير. لم تكن تلك الملابس ملكها قط. لقد كانت ملابس لحكاية خرافية، وقد استعيرت لفترة قصيرة لكي تنجز هذا الوهم الرائع الملقى الآن أشتاتاً عند قدميها. لقد حان الوقت لكي تعود إلى العالم الحقيقي. الوداع لسيارة الفيراري. الوداع للمتاجر الفخمة. لقد انتهت حفلة الأمير، وعادت ساندريلا إلى كنس الأرض، أو على الأقل لتنظيف الموقد والبدء من جديد.

رفعت بصرها تنظر إليه قائلة وقد جفّ فمها: «عليّ أن أذهب الآن.»

أجاب بصوت أجش: «أرجوك ألاّ تذهبي. ابقي معي، أرجوك إنني بحاجة إليك.»

وشعرت بقلبها ينقبض، وبالألم في أعماقها، وبالإغراء في أن تذعن له. في أن تبقى معه وتمنحه حبها. فربما يتعلم كيف يحبها كما تحبه.

كلا، لن تسمح لنفسها أبداً في أن تسقط في هذا الشرك وكررت قولها: «عليّ أن أذهب.»

سألها قائلاً: «ما الذي تريدينه بالضبط؟»

نظرت إليه مباشرة وهي تجيبه قائلة: «إنك تعرف ماذا أريد. إنني أريد الحب. الحب الحقيقي. ذلك النوع من الحب المصحوب بالثقة والاخلاص والالتزام.» وتنفست بعمق وهي تتابع قائلة: «ولكن، إذا كنت لا تشعر به يا كلينت، فليس هناك إذن سبيل إلى أن تعطيه. أليس كذلك؟

فهو الشيء الوحيد الذي ليس بإمكانك أن تشتريه بنقودك.»

أغمض عينيه وللحظة واحدة، مرّ الألم على وجهه. ثم قال: «إنني لا أعرف شيئاً عن ذلك النوع من الحب.»

حملقت فيه قائلة: «إنني آسفة لأجلك.»

واستدارت فحملت حقيبتها، ثم اتجهت نحو الباب خارجة من بيته. تتابعت بها الأيام في وحشة لا نهاية لها.

وأخيراً، أعلن القرار المنتظر رسمياً، والذي يقضي بإقفال مدرسة فريندلي الابتدائية في نهاية السنة المدرسية. ومع أن هذا كان منتظراً فقد كان من الصعب تصديقه.

سألتها سيليا: «ما الذي ستفعلينه؟ هل ستقدمين طلباً للعمل في المدارس الجديدة؟»

هزّت اوليفيا كتفيها قائلة: «لقد طلب مني عمي داون وريبيكا أن أبحث عن وظيفة في مدينة أخرى.»

وتفرست اوليفيا في وجه سيليا، ثم سألتها قائلة: «هل تريدين حقاً أن ترحلي؟»

أجابت سيليا: «نعم، ولما لا؟ يمكننا أن نجرب ذلك نحو سنتين، فإذا لم يعجبنا الحال فبإمكاننا دوماً أن نعود إلى الوطن.»

كان ذكرى مولد اوليفيا يوافق نهاية هذا الشهر وقد أصرّت سيليا على إقامة احتفال لها رغم معارضة اوليفيا الشديدة، فقالت لها: «إنها ستساعدك على استعادة اتزانك النفسي.»

قالت اوليفيا: «إنني لا أريد حفلة، يا سيليا، إن كل ما أريده هو أن أتفرغ لأحزاني.»

قالت سيليا: «حسناً، إننا لن نسمح لك بذلك.»

قالت اوليفيا: «إن لي الحق في التفرغ لأحزاني الخاصة.»

قالت سيليا: «لا تكوني صعبة يا اوليفيا. إننا سنقضي وقتاً طيباً وسندعو الجميع إلى هذا الاحتفال.»

ولم تستطع الرفض. حسناً، انها تعرف كيف تتظاهر بالسعادة.

وهكذا كان. واعترفت لنفسها بأن هذا أدخل البهجة إلى نفسها حقاً. لقد ساعدها مؤقتاً وجودها مع أصدقائها حيث الضحك وتبادل النكات.

وعندما عادت أخيراً إلى بيتها، كان الوقت متأخراً ونزلت من سيارتها وهي تحمل الهدايا بين ذراعيها. وكانت الليلة باردة والسماء غائمة. كما كان القمر مكتملاً.

أدخلت السيارة في موقفها، ثم استدارت حول البيت ونظرت إلى السماء، وإلى القمر البارد، ثم جلست على قطعة خشب ضخمة ثم تلفحت بجاكتتها. من قال إن القمر شاعري؟ إنه يبدو شريراً متسللاً بين الغيوم، بينما أغصان الشجر الجرداء تتمايل أمامه.

كانت تشعر بوحدة مرة، وذلك بالرغم من الدفء والصداقة اللتين لمستهما في الحفلة. كانت الوحشة في أعماقها. وبدا لها منزلها خالياً وكذلك كانت حياتها خالية.

كانت فتاة قوية. هكذا كان يعرفها الجميع. ولكنها لم تكن تشعر بالقوة الآن. كانت تشعر بقلبها يذوي من الألم. وسيأتي يوم ليس ببعيد حين لا يبقى من قلبها شيء، كيف أمكن لهذا أن يحدث لها؟ كيف تمكن منها حب بهذه القوة لرجل كان واضحاً أنه ليس لها؟ كانت هذه أسئلة منطقية،

ولكن قلبها لم يكن ليهتم بالأسئلة والأجوبة. كان قلبها يشعر فقط بالألم وبالشوق.

وهمست بعينين دامعتين: أواه، يا كلينت. ماذا أفعل؟ وكيف أنساك؟

لقد كانت سعيدة قبل أن تقابل كلينت، لم تكن تدرك قبل أن تقابل كلينت إلى أيّ حد كانت تشعر بالحاجة إلى من يملأ مشاعرها، إلى رجل يعتبرها أهم امرأة في الحياة، رجل تشاركه حياتها في الخير والشر. رجل تحبه وتعتز به.

وأخرجت مفتاحها لتدخله في الباب الخلفي، ولكنه لم يكن مقفلاً، وقطبت حاجبيها. لقد حضر وليام ليأخذ أكياس الأطعمة التي كانت كوّمتها قبل ذهابها إلى الحفلة. ولا بد أنه نسي أن يقفل الباب. وتنهدت وهي تقفل الباب خلفها، ثم خلعت جاكتتها وعلقتها.

في يوم ما، سيكون هناك رجل آخر. رجل تستطيع أن تحبه وسيتزوجان وينجبان أطفالاً. ولكنها فقط لا تستطيع أن تتصور نفسها مع أيّ كان. إن ما يحتل تفكيرها هو كلينت وحده.

وتوقف قلبها عن الخفقان. لم يكن البيت فارغاً.

لقد كان كلينت هناك، جالساً قرب المدفأة وكان مرتدياً الكنزة التي سبق وحاكتها له بيديها.

الفصل الرابع عشر

همست اوليفيا: «كلينت؟ هل هذا أنت؟» ومرّت بها لحظة تملكها فيها الرعب وهي تتساءل ان هذا ليس إلا خيالاً، وأن أحلامها في أن يعود إليها جعل عقلها يعتقد بحدوث ذلك. لم يكن النور مضاء. لم يكن هناك سوى الوهج المنبعث من لهب الموقد يظهر جسمه على الكرسي.

فقال: «لم أكن أقصد اخافتك.»

قالت: «كلا...» وازدردت ريقها ثم تابعت تقول: «إنني فقط، لم... لم أتوقع حضورك.»

قال وكأنه يوضح بقوله كل شيء: «إنه ذكرى مولدك.»

أضاءت النور. كان ما يزال موجوداً وازدردت ريقها مرة أخرى وهي تقول: «إن اصدقائي...» كانت ترتجف ما جعلها لا تستطيع التلفظ بكلمة. ولكنها عادت تقول: «إن أصدقائي أقاموا احتفالاً لأجلي.» ووضعت الكيسين على الأريكة.

سألها: «هل هذه هداياك؟»

أومأت برأسها وهي تبلل شفتيها الباردتين الجافتين بلسانها ثم قالت: «ظننتك مسافراً.»

أجاب: «لقد قطعت رحلتي.»

قالت وهي ما زالت ترتجف: «آه... أين آلان؟ إنني لم أر الفيراري.»

فقال: «طلبت منه أن يبيت في الفندق. إذ لم يكن لديّ فكرة عن المدة التي سأنتظرك فيها.»

قالت: «فهمت.»

سألها قائلاً: «أيمكنني أن أحضر لك شراباً دافئاً، كوباً من الكاكاو؟»

أومأت بالإيجاب، وعند ذلك وقف واتجه إلى المطبخ.

ونظرت إلى كرسيه الفارغ. لقد رحل. إنه لم يكن هنا في الواقع، مطلقاً... إنه طبعاً لم يكن هنا. لا بد أنها ابتدأت تجنّ فتتخيل أشياء غير موجودة. فهو ليس في المطبخ يصنع لها الكاكاو. لقد كانت تحلم وهي ستستفيق من نومها لترى ان كل ذلك لم يكن سوى حلم. ولم تستطع أن تتوقف عن الارتجاف. فجلست على كرسي أمام المدفأة وأغمضت عينيها وحاولت أن تركز اهتمامها في الدفء المنبعث من النار، ممتداً إلى ساقيها وذراعيها ووجهها.

مدّ كلينت يده إليها بكوب الكاكاو والبخار يتصاعد منه فتناولته منه، وهي تنظر في وجهه قائلة: «شكراً لك. لماذا أنت هنا؟»

جلس على كرسي قبالتها، ثم أغمض عينيه برهة وكأنه يستجمع شتات نفسه، ثم تلاقت عيناه بعينيها، وقد توتر وجهه، وهو يقول بصوت أجش: «إنني بحاجة إليك.»

واهتزت يداها بشدة فوضعت الكوب على الأرض، ثم شبكت يديها ببعضهما وهي تنظر إليه بصمت.

فقال ببطء، وكانت الكلمات تخرج من فمه بصعوبة: «في

الأسابيع الماضية كانت حياتي بدونك... كانت باردة، خالية من البهجة واللون والدفء.»

فاغرورقت عيناها بالدموع، وعضّت شفتها وهي تحدّق في النار.

وسكت كلينت يجاهد مشاعره، ثم عاد يقول: «إنني أريد حنانك يا اوليفيا، ضحكتك وحبك. لقد كنت أنا على خطأ. كنت على خطأ مخيف إذ لم أقدّر مكانتك عندي، لقد كان دخولك حياتي هو أثمن هبة، فلم أدرك ذلك وألقيت بها بعيداً.»

أخذت تحدق في اللهب، كانت مشوشة الذهن ما جعلها غير قادرة على التفكير في شيء تقوله.

قال برقة: «إنني أحبك، يا اوليفيا وأظنني قد أحببتك منذ أول يوم رأيتك فيه، منذ اللحظة التي وضعت فيها ذلك الصندوق بين ذراعيّ وطلبت مني أن أقف في الصف.»

نظرت إليه وقد اغرورقت عيناها بالدموع وهي تقول: «ولكنك لم تخبرني أبداً بأنك تحبني.»

«ذلك لأنني كنت خائفاً.»

نظرت إلى وجهه، إلى ذلك الوجه القويّ المتحفظ ثم سألته بلطف: «ممّ كنت خائفاً؟»

أجاب: «من أن أبدو ضعيفاً، فأخسرك. ولكنني أعلم الآن أن عليّ أن أجازف فليس لي خيار. إنني أحبك يا اوليفيا.»

همست: «وأنا أحبك أيضاً.»

نهض واقفاً، وتقدم ووقف أمامها، ثم أخرج من جيبه شيئاً وضعه في راحتها وهو يقول: «كل عام وأنت بخير.»

وكان ذلك علبة صغيرة مخملية غير ملفوفة. وابتدأ قلبها

يخفق إلى درجة أخافتها. وفتحت العلبة لترى خاتماً ذهبياً مشبكاً بالساتين الأسود. كان عبارة عن حلقة عريضة دون ماسة ولا أيّ حجر كريم آخر.

ولكنه، كرمز لم يكن يقدّر بثمن.

ولم تستطع أن تغالب دموعها أكثر من ذلك، فأخذت تبكي.

وقال: «تزوجيني يا اوليفيا. أرجوك أن تتزوجيني. إنني أحبك ولا أستطيع الحياة من دونك.»

فهمست قائلة: «آه يا كلينت إنك لا تثق بالزواج.»

فأخذ يوضح لها قائلاً: «ولكن البديل للزواج هو مرعب. لا يمكنني العيش من دونك يا اوليفيا. إنني أريد أن أمضي معك بقية حياتي. وسأفعل كل ما بوسعي لكي أسعدك. يمكنك أن ترافقيني في رحلاتي وتتفرجي على العالم. أو يمكنك أن تزاولي التعليم إذا شئت. أو بإمكانك أن تقومي بالأعمال الخيرية التي تخصك بالاشتراك مع شركة مورغان فتساعدي كل من تريدين، ما دمت لن تتركيني أبداً.»

ضحكت من بين دموعها وهي تقول: «آه، يا كلينت، هل من المفروض أن يكون ثمة شرط لكل شيء؟»

سألها قائلاً: «إنك لم تجيبيني على سؤالي. هل تتزوجينني؟»

قالت والبهجة تسري في كيانها: «نعم. نعم سأتزوجك يا كلينت مورغان.»

تمـت